**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة محمد خيضر بسكرة**

**كلية الآداب واللغات**

**قسم الآداب واللغة العربية**

# الاغتراب في رواية "اعتراف موجة" لـ: عبلة قدوار

مذكرة مقدَمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

**إعداد الطالب:**

**إسماعيل بن صغير**

**إشراف الأستاذ:**

**لخضر تومي**

السنة الجامعية: 1436هـ/1437هـ

2015م/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر و عرفان

**قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ 07/ إبراهيم.**

نحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره على توفيقه وفضله لإتمام هذا البحث.

أتقدم بالشكر الجزيل، وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل "لخضر تومي" على حسن توجيهه، والذي كان نتاجه هذا البحث، فهو لم يبخل علي بالنصح والإرشاد أو بشيء من وقته وجهده، فكان نعم الأستاذ المرشد.

والله ولي التوفيق

# مقـــدمـــــــة

يعيش الإنسان في عالم يتميز بالتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية بسبب مخلفات هذا العصر و إفرازاته على الحضارة الإنسانية، والتي أدّت إلى تعقد مجريات الحياة وصعوبتها، ما خلق عالما من التناقضات والصراعات مع النفس البشرية لعجزها عن التأقلم والتعايش مع المعطيات الراهنة للواقع، ما أدّى إلى بروز ظواهر عديدة انعكست سلبا على الإنسان، ومن بين هذه الظواهر ظاهرة " الاغتراب".

هذه الظاهرة التي ارتبطت بالإنسان منذ الأزل، بدءا بمفارقة موطن خلقه الأول وصولا إلى حاضرنا اليوم. فظاهرة الاغتراب ليست حديثة، بل هي قديمة قدم الإنسان عُرفت في مختلف المجتمعات عبر كل الأزمنة و الأوقات، لكنّها لم تأخذ أبعادها المنهجية إلا مع الدراسات النفسية والفلسفية الحديثة من القرن العشرين.

و قد انعكست هذه الظاهرة على الأدب فأصبح الاغتراب موضوعا بارزا فيه، لأنّ الأدب مرآة عاكسة للمجتمع، يصّور قضاياه وتغيراته الفكرية والاجتماعية. و لأنّ الرواية تجسيد لرؤية الإنسان، فهي الأكثر التقاطا لمشاكل الواقع وسلبياته خاصة في زمننا، كونها أكثر صلة بظاهرة الاغتراب. لهذا جاءت دراستنا الموسومة بـ الاغتراب في رواية " اعتراف موجة " لـ عبلة قدوار لتتبع خصائص هذه الظاهرة في نموذج من الرواية الجزائرية المعاصرة، ورصد التجليات الجمالية و الفنية فيها.

وقد كان الدافع في هذا محاولة إماطة اللثام، وكشف خبايا هذه الظاهرة التي تشترك فيها الإنسانية جمعاء، وهي ظاهرة الاغتراب، يضاف إليها عزوف الباحثين وقلة الدراسات حولها خاصة في جانب الرواية العربية عامة والجزائرية خاصة، واقتصار الدراسات على جانب الشعر فقط. الأمر الذي دفعنا إلى طرح عديد من التساؤلات نوجزها في الآتي:

- ماذا نعني بالاغتراب؟ وما هي علاقته بالأدب؟ وكيف كانت النظرة الغربية والعربية له؟

- ما هي مظاهره في الرواية؟ وكيف ساهمت العناصر السردية في إبراز ملامحه و بيان أوجهه؟

وقد اقتضت الدراسة تقسيم البحث إلى فصلين، مستفتحين بمقدمة تلاها فصلان، حمل الأول عنوان الاغتراب ماهيته وأبعاده وأشكاله، وتناول مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحا؛ هذا الأخير الذي دُرس في الفكر الغربي وفي التراث العربي، إضافة إلى أبعاد الاغتراب ومظاهره وأشكاله. أمّا الفصل الثاني فجاء موسوما بعنوان تجليات الاغتراب في الرواية وبواعثه، واندرجت تحته أربعة عناصر، اهتم العنصر الأول بدراسة اغتراب الشخصية والبحث في الأسباب والدواعي الكامنة خلفها، وتناول العنصر الثاني الاغتراب الزماني من خلال الاسترجاع والاستباق، واختص الثالث بالاغتراب المكاني، وجاء فيه ذكر الأماكن المغتربة وأسباب اغترابها، في حين عالج العنصر الرابع اغتراب اللغة، ومدى تأثيرها وبروزها فنيا في الرواية. وأخيرا اختتمنا ما بدأناه بخاتمة حوت أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اعتمدنا في بحثا هذا على المنهج النفسي لدراسة وتحليل انعكاسات هذه الظاهرة على نفسية شخصيات الرواية، يضاف إليه المنهج التاريخي الذي عمل على تتبع ظاهرة الاغتراب تاريخيا عبر الأزمنة والعصور، كما انفتح البحث على آليتي الوصف والتحليل من خلال وصف الظاهرة كما وردت في الرواية عن طريق تقديم نماذج وتحليلها، ثم ربطها بسياق الظاهرة.

وقد استعنا بالرواية كمصدر، وبعض المراجع لا يكفي المقام لذكرها جميعا، بل من أهمها: دراسة يحي عبد الله : الاغتراب ( دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية )، وكتاب عبد اللطيف محمد خليفة : دراسات في سيكولوجية الاغتراب، و كتاب حليم بركات الاغتراب في الثقافة العربية، وكذا كتاب وابل نعيمة الاغتراب عند كارل ماركس.

ولم يخل هذا البحث من صعوبات وعراقيل، لعلّ من أبرزها غموض الموضوع وتشعبه من كل النواحي، علاوة على ذلك نقص الدراسات في هذا الموضوع خاصة تطبيقاته الروائية يضاف إلى ذلك ندرة وقلة المراجع التي تناولت الموضوع بالبحث والدراسة.

وختاما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل " تومي لخضر " على تفضله بالإشراف على هذه المذكرة، والذي لم يبخل علينا فيها بالنصح والإرشاد، والرأي السديد في التوجيه، فله منا كل الاحترام والتقدير. و الشكر موصول لكل الذين مدوا لنا أيدي المساعدة وتفضلوا علينا بذلك من قريب أو بعيد. والله ولي التوفيق.

# الفصل الأول

# الاغتراب ماهيته و أبعاده و أشكاله:

## أولا: مفهوم الاغتراب

1- لغة
2- اصطلاحا

## ثانيا: أبعاد الاغتراب و مظاهره

1- العجز
2- اللامعنى
3- اللامعيارية
4- العزلة الاجتماعية
5- الاغتراب عن الذات

## ثالثا: أشكال الاغتراب

1- الاغتراب الذاتي
2- الاغتراب الاجتماعي
3- الاغتراب السياسي
4- الاغتراب الاقتصادي
5- الاغتراب الديني

## أولا: مفهوم الاغتراب (Alienation):

**أ- لغة:** للاغتراب معان ودلالات عديدة تعكس طبيعة النظر إليه والرؤية الفنية له، وتتبع اللفظ في المعاجم العربية يشير إلى معنى البعد والنوى. فلقد جاء في لسان العرب في مادة "غَرَبَ" "الغَرْبُ: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غَرُبَ عنا يَغْرُبُ غَرْباً، وأَغْرَبَهُ: نَحَّاهُ، والغُرْبَةُ والغَرْبُ النزوح عن الوطن والاغتراب، واغترب الرجل نكح في الغرائب وتزوج من غير أقاربه، وأغرب الرجل جاء بشيء غريب، ويقال غرّب في الأرض وأغرب فيها إذا أمعن فيها ونوى غربة بعيدة، وغربة النوى بعدها".[1]

وفي المعجم المحيط: (الغربة) "النزوح عن الوطن والاغتراب و التغرب، وغرّب غاب وبعُد واغترب تزوج في غير الأقارب".[2]

أمّا في معجم العين فقد وردت اللفظة غير بعيدة عن المعاني السابقة، قال "الخليل بن أحمد الفراهيدي": "والغربة الاغتراب عن الوطن، وغرّب فلان عنا يغرب غربا، أي تنحى، وأغربته غربة أيّ نحيته، والغربة النوى والبعد".[3]

من خلال هذه التعريفات يتضح أنّ جلّ المعاجم أجمعت على أنّ مفهوم الاغتراب انحصر في معنى البعد والنأي والنزوح عن الوطن.

**ب- اصطلاحا:** الاغتراب ظاهرة إنسانية موجودة في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وفي كل الثقافات الغربية والعربية. لكن قبل الولوج إلى شرح معالم هذه الظاهرة تجدر الإشارة إلى أنّ هناك مفارقة اصطلاحية بين لفظتي الغربة والاغتراب، فالغربة كما أوردنا معناها سابقا بأنها النزوح عن الوطن والانتقال من مكان إلى آخر بغية العيش الكريم، فاقتصر مدلولها في الغالب على الهجرة

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1981، ص3225

[2]- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص206

[3]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص271

من بلد إلى بلد، وإنها كما استخدمها "يحي عبد الله"، "تعني الابتعاد عن الوطن"[1]. وهي رحلة مادية دافعها البحث عن العيش الرغيد والحياة الكريمة التي تدفع بالشخص إلى الارتحال والعيش في احتراقات الغربة والوحدة. أمّا الاغتراب فيقصد به المعنى المادي والروحي أي الشعور بالعزلة والتيه داخل الوطن، كما جاء على لسان "أبي حيان التوحيدي": « وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه».[2] فالاغتراب لا يقتصر على النزوح عن الوطن و التغرب عنه فقط، وإنما يعنى بالمشكلات التي تواجه الفرد في واقعه المعيشي، حتى وإن كان في وطنه بين أهله وخلانه، فذاك أقصى اغتراب يواجهه الفرد على حد قول "التوحيدي"، مع احتواء المعنى السابق، وهو الانتقال و الترحال من بلد إلى آخر.

فهناك تداخل بين اللفظتين مع وجود فرق بسيط، وهو اتساع معنى الاغتراب واحتواؤه على معاني عديدة حسب مجال الدراسة.

## أ/ الاغتراب في الفكر الغربي:

تُقابل الكلمة العربية (اغتراب) "الكلمة الإنجليزية (Alienation)، والكلمة الفرنسية (Alienation)، والكلمة الألمانية (Entremdung)، وقد اشتقت الكلمتان الإنجليزية والفرنسية أصلهما من الكلمة اللاتينية (Alienation)، وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني (Alienare)، والذي يعني نقل ملكية شيئ ما إلى آخر، أو يعني الانتزاع أو الإزالة، وهذا الفعل مستمد بدوره من كلمة أخرى هي (Alienus) أي الانتماء إلى شخص آخر أو التعلق به

[1]- يحي عبد الله، الاغتراب: دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت, لبنان، ط1، 2005، ص23

[2]- عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث 1945-1962، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، (دط)، (دت)، ص16. نقلا عن: أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، دار القلم،الكويت، الكويت، ط1، 1981، ص75

وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ (Alius) الذي يدل على الآخر سواء كاسم أو صفة"[1].

ويمتاز مصطلح (الاغتراب) بالغموض والتشتت والإبهام بسبب تعدد مفاهيمه واستخداماته التي تشمل جلّ نواحي الحياة، فقد توصل عالم الاجتماع الأمريكي "ملفين سيمان"(Melvin Seeman) عام 1959 إلى تحديد خمسة مفاهيم مختلفة للاغتراب أطلق عليها تسميات:"العجز، وفقدان المعايير، وغياب المعاني، واللانتماء، وما يسمى الاغتراب الذاتي"[2].

كما استعمل "ريتشارد شاخت"(Richard Schacht) هذا المصطلح في كتابه (الاغتراب) للإشارة إلى المفاهيم الآتية :[3]

1- الانتقال غير الشرعي للملكية من إنسان أو من شعب لآخر.

2- فقدان القدرة العقلية أو غياب الوعي.

3- اضمحلال العلاقات الودية بين شخص وآخر.

4- ابتعاد الإنسان عن الله، فينسب بعض المؤرخين مثل هذا الاغتراب الديني إلى تجارب كل من "بولس" (Paul) و"لوثر" (Luther) في تاريخ تطوير المسيحية.

[1]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص21

[2]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص36

[3]- المرجع نفسه، ص37

## 1/ الاغتراب عند هيغل (Hegel):

يُعدّ "هيغل" واحدا من أشهر الفلاسفة الذين ظهروا على ساحة الفكر الحديث، إذ أولى موضوع الاغتراب أهمية كبيرة فهو "أول من استخدم المصطلح استخداما منهجيا مقصودا ومفصلا"[1].

ويتجلى الاغتراب حسب رأيه في انفصال الذات الإنسانية عن الموضوع، وهو العالم الخارجي الذي يصبح مناهضا وغريبا عنها ما يسبب حالات مختلفة من الاغتراب، كالاغتراب السياسي الذي "ينّم عن تعارض العلاقة بين الفرد- المواطن (الإرادة الخاصة)، والدولة(الإرادة العامة)، وذلك حين تتحول هذه الأخيرة إلى كيان مناقض ومعاد للأولى فتنتهك الحريات والحقوق الفردية"[2]، والذي يؤدي بدوره إلى خلق أنواع أخرى من الاغتراب، كالاغتراب الاجتماعي والحقوقي والنفسي.

ويعتبر الاغتراب الذاتي أشد أنواع الاغتراب، لأن الإنسان فيه يفقد هيبته وكرامته وسط مجتمع لا يعترف به، وبقدراته فتزداد الهوة والصراع بينه وبين ذاته، والاغتراب الذاتي هو"أن يضيّع الإنسان شخصيته الأولى ويصير إنسانا آخر أغنى من الأول، فالإنسان يضيّع نفسه عندما يصبح غريبا عنها، أي عندما يفقد حريته ويصبح منصهرا في مجتمع لا يعترف له بأي استقلال ذاتي".[3]

كما يذهب "هيغل" إلى أنّ الاغتراب "حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظّف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص"[4]، فبعد أن ربط "هيغل" الاغتراب بذات الإنسان توجه به وجهة أخرى وهي ربطه بحريته وذلك لأحقية الإنسان في الاستيلاء على ممتلكاته والسيطرة عليها أو عجزه

[1]- فطيمة الصيد، الاغتراب في رواية انكسار لمحمد مفلاح، ماستر، (مخطوطة)، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014، ص12

[2]- وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، الجزائر، (دط)، 2013، ص20

[3]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (دط)، 1982، ج1، ص765

[4]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص37

عن ذلك تماما. هذا العجز هو الذي يسبب حالة حرب بين ذاته وممتلكاته الخاصة، حين يراها تسلب منه وتوظّف لصالح غيره، وهو مكتوف الأيدي لا يصنع شيئا فتزداد الهوة بينه وبين المؤسسات والعالم الخارجي.

## 2/ الاغتراب عند فيورباخ (Feverbach):

يعتبر "فيورباخ" من أولئك الفلاسفة الذين يطلق عليهم اسم "الهيغليين الشباب"*[1] لتشبعهم بأفكار معلمهم "هيغل". لكنّه سرعان ما انسلخ عن هذه الأفكار محاولا قلب أساسها من خلال فلسفته الجديدة التي اهتمت بمسألة الاغتراب عن المؤسسة الدينية، فالدين نوع من الاغتراب حسب "فيورباخ" الذي يقول: « إنّ الدين اغتراب لأنه عالم وهمي يقوم في أساسه على استلاب عقل الإنسان وقدراته الخاصة »[2]، ولأنّه يتناقض مع العقل والمثل الأخلاقية فهو بالنسبة له تعبير عن ذلك العالم الوهمي الذي يستلب ماهية الإنسان الحقة لتعارضها مع ذاته فالدين يتمثل أساسا في تلك العلاقة التي يقيمها الإنسان مع ذاته. وهنا يكمن زيفه ومحدوديته وتناقضه مع العقل، فالإنسان يغترب عن نفسه لأنّه "يعكس من خلال إيمانه الديني أفضل ما لديه وفي نفسه من صفات على ما هو خارج ذاته".[3]

فلسفة "فيورباخ" حول الاغتراب جاءت من زاوية مادية أنثربولوجية تحاول أن تصالح بين الإنسان وذاته المغتربة، لهذا أتت محصورة في مجال واحد فقط هو الدين ما يؤكد أن تفكيره لم يخرج عن نطاق اللاهوت. بعكس "هيغل" الذي أسقط الاغتراب على مجالات واسعة من الحياة.

* أتباع الفيلسوف هيغل ونذكر منهم: (برونو بوير، دفيد شتراوس، كارل ماركس، فريدريك أنجلز...)، ينظر: وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، ص34

[2]- وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، ص37

[3]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص38

## 3/ الاغتراب عند كارل ماركس (Karl Marx):

اهتم "كارل ماركس" بمنهج الاقتصاد السياسي ليظهر الاغتراب على أنّه حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية، فهو يرى أنّ العامل في ظل النظام الرأسمالي "يهبط إلى مستوى السلعة ويصبح حقا أكثر السلع تعاسة، وتزداد تعاسته بازدياد قوة إنتاجه وحجمها فيصبح العامل سلعة رخيصة بقدر ما ينتج من سلع، وبتزايد قيمة عالم الأشياء تتدنى قيمة الإنسان نفسه."[1]

فقد حولت المجتمعات الرأسمالية العامل إلى كائن عاجز وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه ومعادية له.

و لقد بحث "ماركس" عن الجذور الحقيقية لأصل الاغتراب في المجتمعات المتقدمة عبر التاريخ، وانتهى به الأمر إلى أنّ ظهور الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج هي المسبب الرئيسي في ظاهرة الاغتراب. يقول: «... وهكذا فالملكية الخاصة تستنتج من مفهوم العمل المستلب الإنسان المستلب، العمل المغترب، الحياة المغتربة، الإنسان المغترب».[2]، فهذه الملكية الخاصة ما هي إلا إفرازات رأسمالية لظاهرة تقسيم العمل التي عرفها الإنسان عبر حياته، والتي كانت سببا في "تحويل طريقة العمل من شكلها الجماعي المعهود إلى شكل فردي".[3]

وهذا مظهر من مظاهر العولمة التي كانت عاملا فاعلا أدّى إلى تفاقم الاغتراب خاصة من الناحية الاقتصادية التي ساهمت بدورها في "تفكك القيم الاجتماعية والثقافية، وفقدانها السيطرة على السلوك الإنساني".[4] فماركس يفسر مثلا بعض الظواهر الإجرامية كالانتحار بضياع الفرد وعدم انسجامه مع هذا العالم.

---

[1]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص39

[2]- وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، ص62

[3]- المرجع نفسه، ص62

[4]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص43

إنّ فكرة الاغتراب عند "ماركس" تضمنت محتوى مغايرا تماما لذلك الذي رأيناه عند كلا من "هيغل" و "فيورباخ"، فقد تجلّى الاغتراب عنده في طبيعة العلاقة بين الإنسان والمؤسسات والأشياء التي هي نتاج إبداعه الخاص، وما حملته من انعكاسات مسّت الحياة العامة، خاصة الاقتصادية منها.

## ب/ الاغتراب في التراث العربي:

حظي موضوع الاغتراب باهتمام كبير من طرف المفكرين والأدباء والشعراء العرب لأنّه ظاهرة إنسانية تغلغلت في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وقد تعددت معانيه وتطورت بمرور الزمن لتأخذ مدارات أوسع وأشمل خاصة في ظل تطور المجتمع وتقدمه الصناعي بفعل التكنولوجيا ومتغيرات الحياة، لذا عدّه أغلب الباحثين من أهم السمات المميزة لهذا العصر.

و أول ما نلمس هذه الظاهرة في الثقافة العربية لدى الشعراء الصعاليك الذين عاشوا وحشة واغترابا، نتيجة خروجهم عن النظام القبلي، فهاموا على وجوههم يجوبون الصحاري والقفار ومن هؤلاء: "الشنفرى"، و"عروة بن الورد"، و"تأبط شرا"...وغيرهم. "فالشنفرى" – مثلا– فضّل العيش مع وحوش البراري واعتبرها الأهل والرفيق له في وحدته، وقد عبّرت عن ذلك وعكسته لاميته الشهيرة، ومنها قوله :

أقيموا بني أمّي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

فقد حمّت الحاجات والليل مقمر وشدّت لطيّات مطايا وأرحل

ولي دونكم أهلّون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيئل

هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل.[1]

[1]– الشنفرى، ديوان الشنفرى، تحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص58-59

فظاهرة الانفصال عن المجتمع القبلي وإقامة علاقات صداقة مع الحيوانات ظاهرة منتشرة عند الشعراء الصعاليك.

وفي الحياة الجاهلية ارتبط حب الأوطان في نفس الإنسان العربي، خاصة عند الرحيل و الفراق عن هذه الأوطان، فقد عدّ لزوم القبيلة والوطن شرفا وعزة للرجل. "قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان و قيل فما الذل؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان"[1].

كما اعتبر الحنين إلى الأهل والديار من سمات وفاء الرجل وحسن خلقه، فقد قال الغزولي: « إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل وحسن عهده، وكرم أخلاقه، وطهارة مولده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من أزمانه ».[2]

فالإنسان العربي معروف منذ القدم بترحاله و كثرة تنقله بحثا عن مواطن الكلأ والماء لماشيته. لذا كان يحن إلى موطنه ويصبو للعودة والرجوع إليه حتى ولو بعد سنين، وهذا ما نراه في الوقوف والبكاء على الأطلال خاصة عند الشعراء.

أمّا في التراث الإسلامي، فالإسلام في جوهره دل على ظاهرة الاغتراب، لأنّه أبعد الناس عن عبادة الأوثان، وثار على النظام الاجتماعي غير العادل الذي كان يأكل القوي فيه الضعيف وأبدله بنظام تسوده الحرية والعدالة الاجتماعية.

و قد عاش الرسول عليه الصلاة والسلام الغربة في قومه، وهو يتحمل الأذى والظلم منهم وعرف الغربة في مقامه بمكة وعند هجرته إلى المدينة. كما عرفها أصحابه الذين عاشوا غرباء بين أقوامهم وهم يتحملون قسوتهم وجبروتهم، وهم صابرون محتسبون، ما دفعهم إلى الهجرة نحو الحبشة ثم المدينة هربا من هذا الظلم، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿

[1]- يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، (دط)، 2007، ص09

[2]- المرجع نفسه، ص14

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

فالاغتراب بالمعنى الإسلامي هو الابتعاد عن مظاهر الحياة الزائفة الزائلة، وجهاد النفس عن كل مغرياتها.

وعند علماء الصوفية تجاوز الاغتراب المفهوم الجغرافي الضيق إلى المفهوم النفسي الروحي لأنهم "فئة من أهل الصلاح والتقوى رغم أنهم بعيدون عن الناس، فهم في أنس متصل لقربهم من الله، وقد انتهى بهم الاغتراب إلى الفناء في الله"[2]. ومن هؤلاء المتصوفة: التوحيدي، وابن عربي وابن القيم وغيرهم. وأصدق من عاش الغربة و عانى ويلاتها "التوحيدي"، لأنّه لم يحظ بالمكانة التي تليق به، فاستوحشت نفسه وعاش غريبا في مجتمعه. فقد جاء على لسانه في كتابه الإشارات الإلهية قوله: « فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه, وقلّ حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه، وأين أنت من غريب لا سبيل له إلا الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان ».[3] لقد ولدّت حياة البؤس والشقاء عنده عجزا فكريا ويأسا من الحياة ما دفعه إلى إحراق كتبه احتجاجا منه على وطنه الذي لم يوفر له الحياة الكريمة التي كان يصبو إليها ما زاد في مشاعر الغربة لديه فكان أغرب الغرباء، "وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه"[4]، وهو أشد أنواع الغربة للإنسان حين يحس أنه مهمل في وطنه، وأن لا أحد يبالي به.

فالتوحيدي لم يعرف في وطنه سوى الخوف والشقاء.

[1]- سورة الحج، الآية 40

[2]- فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص35

[3]- عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري، نقلا عن أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، ص79

[4]- المرجع نفسه، ص75

و "ابن باجة" الذي عاش حياته في غربة عقلية يعطي للاغتراب بعدا دلاليا، خاصة حين يشّبه الغرباء بالزرع النابت في غير موضعه، ويطلق عليهم اسم "النوابت"، و"هم من لم يجتمع على رأيهم أمّة أو مدينة، وهؤلاء هم الذين يعنيهم بقوله الغرباء، وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم، غرباء في آرائهم، فقد سافروا إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان"[1].

ويضيف "ابن القيم الجوزية" ثلاثة أنواع للغربة هي "غربة أهل الله وأهل سنة رسوله الكريم بين هذا الخلق، وهي التي مدح رسول الله أهلها، وغربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل بين أهل الحق، وغربة لا تحمد ولا تذم وهي الغربة عن الوطن"[2].

فأسمى غربة و أرفعها شأنا تلك التي امتدحها الرسول الكريم، وأدناها قيمة غربة أهل الباطل بين أهل الحق.

أمّا ابن عربي فتتمثل نظرته للاغتراب في قوله: « اعلم أنّ الغربة عند طائفة يطلقونها و يريدون بها مفارقة الوطن في طلب المقصود، ويطلقونها في اغتراب الحال، فيقولون في الغربة الاغتراب عن الحال من النفوذ فيه، والغربة عن الحق، غربة عن المعرفة من الدّهش ».[3]

إنّ الاغتراب في التجربة الصوفية لم يخرج عن جانب النفس التي تحس بالغربة وسط المجتمع بسبب الفقر والمعاناة والظلم، أو بسبب البعد عن الناس وعن ملذات الحياة والفناء في الدين لقربهم منه باعتبارهم أهل صلاح.

## ثانيا: أبعاد الاغتراب ومظاهره:

[1]– أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (دط)، 2013، ص20

[2] ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين (بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، تحقيق:محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، 855

[3] ابن عربي، الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ج4، ص234

للاغتراب مظاهر وأبعاد ميّزته عن باقي الظواهر والحالات الأخرى، وقد حصره "ملفين سيمان"(Melvin Seem)[1]* في خمسة أبعاد هي: العجز، واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية، واغتراب الذات.

## 1/ العجز (Powerlessnes ):

أشار "سيمان" إلى أنّ العجز هو شعور الفرد باللاحول و اللاقوة، فهو لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، فيعجز ويفقد السيطرة على تصرفاته وأفعاله. لذا وصفه "أحمد النكلاوي" بأنّه "الحالة التي يصبح فيها الأفراد في ظل سياق مجتمعي محدد يتوقعون مقدما أنهم لا يستطيعون أو لا يملكون تقرير أو تحقيق ما يتطلعون إليه من نتائج أو مخرجات من خلال سلوكهم أو فعاليتهم الخاصة"[2]، فيشعرون بالإحباط وخيبة الأمل بسبب هذا الشعور الناجم عن فقدانهم التحكم في الموجودات والأشياء التي حولهم، وعجزهم عن هزم الظروف الخارجية التي صاروا يرون فيها قوة لا تقهر، فتخبوا إرادتهم و تهزم جرّاء هذا الشعور.

## 2/ اللامعنى (Meninglessess):

يعرّفه "سيمان" بأنه: « توقع الفرد أنه لا يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك».[3]، فالفرد يغترب عندما يفقد إيمانه وثقته في نفسه، فيعجز عن اتخاذ قرارات صحيحة لغياب السبب والمعنى لما يقوم به، فيشعر بالضياع واللامبالاة اتجاه الحياة بسبب فقدان قيمتها ومعناها، ما يدخله في دوامة من التساؤلات حول حقيقة هذه الحياة ومغزاها، فيفقد واقعيته ويعيش في ظل أوهامه وتصوراته.

## 3/ اللامعيارية (Normlessness):

* - عالم اجتماع أمريكي (1959م- 1990م)

[2]– عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (دط)، 2003، ص37

[3]– المرجع نفسه، ص37

أخذ "سيمان" اللامعيارية من وصف "دوركايم"(Durkheim) "للأنومي" أو ما يُعرف باندثار القيم والمعايير التي تصيب المجتمع. ويعرّفها بأنها: « الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أنّ أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة تجاه أية أهداف»[1]. أي أنّ الأشياء لم يعد لديها أية ضوابط معيارية.

فمصطلح (الأنومي) يشير إلى عدم الثقة، أو الشك في القواعد والرجوع عن مبادئها. وقد استخدم "روبرت ميرتون" (Robert Mertton) هذا المفهوم- اللامعيارية - للدلالة على تصدع البناء الثقافي، فهو حالة تحدث عندما "يوجد انفصال حاد بين المعايير الثقافية والقدرات الاجتماعية والبنائية لأعضاء الجماعة للعمل معا"[2]، ما يؤدي إلى فقدان الانسجام مع المحيط الخارجي وانعدام الثقة بين الأفراد لغياب الجماعية بينهم، وبالتالي يعاني الفرد الضياع والصراع النفسي مع ذاته وغيره ما يدفعه إلى الانزواء والفردانية، وإهمال العالم وتركه خلفه.

## 4) العزلة الاجتماعية (Social Isolation):

ويقصد بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، خاصة عندما يفتقد العلاقات الاجتماعية مع الآخرين لبعدهم عنه وتركهم له، فيحيا بذلك "حياة عزلة واغتراب لا يرى من خلالها قيمة كبيرة للأهداف والمفاهيم التي يثمّنها أفراد المجتمع"[3]، وما هذه العزلة إلا لشعور الفرد بالرفض الاجتماعي من طرف الآخرين، وانفصال أهدافه وأحلامه عن قيم المجتمع بسبب ازدياد الهوة بينه وبينهم، فيعيش في فوضى واضطراب.

[1]- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص19

[2]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص38

[3]- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص19

فيعيش في عزلة اجتماعية تبعده عن الواقع وتسكنه في الأوهام والتخيلات، لأنّ هذا البعد هو "حالة السيكو اجتماعية التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة، تجعله غريبا وبعيدا عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي"[1]. ما يؤثر سلبا على تكيفه الاجتماعي وتعاطيه مع متغيرات الحياة.

## 5/ الاغتراب عن الذات (Self Enstrangemement):

عرّف "سيمان" الاغتراب عن الذات بأنّه "عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عمّا يرغب في أن يكون عليه"[2]. فالفرد يعيش في الحياة ويتكيف مع ردود أفعالها المختلفة لكنّه تأتيه حالات معينة يعجز فيها عن الاستجابة، فتغترب نفسه وتنفصل عنه لعجزها عن تحقيق ما تصبو إليه من أهداف، لانعدام أنشطة ومتطلبات تكافئ أو تساوي هذه الذات الطامحة للوصول إلى أبعد مكان، ما يدفع بالشخص إلى الانفصال عنها والاستسلام والرضوخ لردود أفعاله التي تكون غالبا ردة فعل لما يصادفه في الحياة.

وتشير "هورني" (Horney) إلى أنّ الاغتراب عن الذات ينبع من عوامل داخلية تخص ذات الشخص نفسه، فهي لا تربطه بعوامل أخرى مثل الدين أو المجتمع، وترى أنّ الشخص المغترب يكون غافلا عمّا يشعر به من حقيقة أو عمّا يحبه ويفتقده، وبالتالي يكون غافلا عن واقعه لفقدان الاهتمام به فيعيش في "حالة من اللاواقعية، حالة من الوجود الزائف مع نفسه".[3] فالمغترب يخلق عالما وهميا من صنع خياله يتوهم بأنّه حقيقي ليجد فيه ذاته وكيانه المفقودين في العالم الواقعي فيعيش في حالة من التشتت والضياع تفضي به إلى فقدان ذاته والاغتراب عنها للأبد.

[1] دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص38

[2]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص40

[3]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص24

## ثالثا: أشكال الاغتراب:

### 1- الاغتراب الذاتي:

إنّ غاية الفرد في هذا الوجود هي إثبات ذاته والعيش في هذا المجتمع بكل حرية لتحقيق أهدافه، وكل ما يصبو إليه. لكن تمر به ظروف قاهرة تمنعه من تحقيق مراده لاختلاف مبادئه مع الواقع، واصطدامها بمصالح الآخرين المشتركة ما يوّلد لديه عجزا وضغوطات نفسية لافتقاد الأمان والراحة، فتغترب ذاته وتنسلخ عنه لعدم تكيفها مع هذا الواقع الجديد، والذي يؤدي إلى " فقدان الالتزام تجاه هذه الذات التي لا تحظى بالاعتبار من خلال الغرق في الرضوخ والتبعية والاستسلام"[1].

تبدأ فكرة الاغتراب عن الذات بعدم الانتماء إلى المجتمع والنفور منه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف أو معنى لانفصاله عمّا يصبو إليه، ما يوّلد لديه اضطرابا نفسيا وضياعا "يشمل اضطراب الشخصية الفصامية".[2]، فالشخص الفصامي هو ذلك الذي ينفر من إقامة علاقات اجتماعية مع غيره، فتغرب نفسه عن طبيعتها الفطرية التي تأبى الفردانية، فالنفس اجتماعية بطبعها لا تستطيع العيش وحدها إلا في كنف جماعة تربطهم علاقات حميمة مع بعضهم البعض وبتوقف الفرد وانسلاخه عن هذه الجماعة يفقد انتماءه لذاته فتغرب وتفقد كيانها ودورها في المجتمع.

ولتوضيح الفكرة أكثر نستعرض بعض آراء المفكرين والفلاسفة في هذا الصدد. يرى "هيغل" أنّ الاغتراب الذاتي أشد أنواع الاغتراب لأنّ الفرد فيه يفقد كرامته وسط المجتمع لعدم اعترافهم بقدراته وطموحاته، "فيفقد حريته ويصبح مصهورا في مجتمع لا يعترف له بأي استقلال"[3]

---

[1]- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط9، 2005، ص90

[2]- يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص20

[3]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص765

وتناول"ريتشارد شاخت" (Richard Schacht) موضوع الاغتراب من وجهة دينية إذ يرد الاغتراب الذاتي إلى "خضوع البشر لضعف إيمانهم، مما يجعلهم يخفون حريتهم عن أنفسهم وينظرون إلى ذواتهم كأشياء"[1]، بمعنى أنّ هذا النوع من الاغتراب يعود إلى ضعف الوازع الديني لدى الشخص، ما يجعله نفسه شيئا ماديا كباقي ماديات الحياة الأخرى فيخسرها، ويفقد الإيمان الروحي الذي كان يسكنها من قبل.

أمّا "ماركس" فينظر له من وجهتين الأولى أنه يقوم على أنّ عمل الإنسان هو حياته وهذا هو مبدأه الاقتصادي، فاغترابه عنه يفضي إلى اغتراب ذاته بالضرورة. أمّا المعنى الثاني فيشير به إلى انفصال الإنسان عن حياته الحقيقية أو الطبيعية، وبهذا المعنى فإن "ماركس يقصد بالاغتراب عن الذات الفقد الكلي للإنسانية"[2]، وهذا راجع للظروف التي تعيشها الذات حين تفقد هويتها والحقيقة التي كانت عليها.

و يتداخل الاغتراب الذاتي مع الاغتراب النفسي، هذا الأخير الذي يشير إلى الحالات التي تتعرض لها شخصية الفرد من ضعف وانهيار جرّاء تأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تكون في المجتمع. فالاغتراب بهذا المفهوم يشير إلى "النمو المشوه للشخصية الإنسانية حين تفقد الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود و الديمومة".[3] فنفسية الفرد تتأثر بالعوامل الخارجية من قلق وعدم انتماء للمجتمع ما يفقدها الثقة، ويدخلها في دوامة من التساؤلات حول جدوى وجودها في هذا العالم، والغاية التي تريد الوصول إليها ما يزيد في غربتها وعزلتها لتتحول فيما بعد إلى شخصية فصامية تعاني صعوبة الاستمرار والتأقلم مع الآخرين.

[1]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص24

[2]- المرجع نفسه، ص34

[3]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص81

## 2- الاغتراب الاجتماعي:

في حياة الإنسان أهداف وطموحات يسعى إلى تحقيقها بشتى السبل والوسائل وهو بذلك يخلق عالما مثاليا خاصا به. لكنّ أنانيته قد توصله في بعض الأحيان إلى الانفصال عن الواقع، فنجده ينزع نحو التقوقع على نفسه، وعدم مشاركة الآخرين في أفعاله لغياب أواصر الألفة والمحبة معهم، فيحتمي ويعيش في صراعاته الداخلية مع ذاته، ومع المجتمع الرافض لمبادئه وطموحاته النرجسية ويعيش حالة من الاغتراب الاجتماعي.

يقوم الفرد المغترب اجتماعيا بالخروج عن نواميس المجتمع وعدم تقبلها لرفضها من طرف ذاته، فالاغتراب الاجتماعي ينشأ من "نزاع الفرد مع نفسه ليتطور ويتسع ليظهر كأنه انعكاس لنزاعه مع المجتمع"[1]، ولا يكتفي برفضها فقط وإنما يحاول إسقاطها "بتغيير القانون الاجتماعي أو بالتدمير"[2]، ليتحول بذلك إلى شخص برغماتي يتسلط على الآخرين ليفرض نفسه بالقوة أو بالتمرد والعصيان عليهم.

يرى "ماركس" أنّ اغتراب الإنسان عن الآخرين يرتبط ارتباطا وثيقا باغترابه عن ذاته وعن إنتاجه، فإذا واجه الإنسان ذاته فإنه بالضرورة يواجه الآخر لتشارك المصالح بينهما وما ينطبق على علاقته بعمله ونتاجه وذاته ينطبق كذلك أيضا على "علاقته بالإنسان الآخر وبعمله وموضوع عمله"[3]، لأنّه يتشارك معه في هذا الجانب. فاغتراب الإنسان عن الآخرين يمس جميع جوانب حياته سواء في علاقاته أو نشاطاته اليومية.

ويعزو "إيريك فروم" (Erich Fromm) انعزال الفرد اجتماعيا حين يرى أنّ الآخرين أصبحوا غرباء بالنسبة له، "فالمرء لا يستطيع أن يربط نفسه بالآخرين ما لم تكن له ذات أصيلة

[1]- إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط5، 1986، ج1، ص96

[2]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص80

[3]- المرجع نفسه، ص73

وإلا سيفتقد العمق والمغزى"[1]. فالشخص في قرارة نفسه يحب مساعدة الأشخاص وبعث السرور في أنفسهم، ولو كان على حسابه الخاص فينطلق معهم إلى أن يصبح مثلهم لكنّه رغم كل هذا

"لا يرتبط بهم كشخص فريد"[2] على حد تعبير "شاخت" لأنّه في هذه الحالة تخلى عن ذاته وانقاد وراء ذوات الآخرين، فذاته ليست أصيلة لأنها تأثرت بضغوطات الغير ما يؤدي بها إلى فقدانها وضياعها وسط الذوات الأخرى.

ويزيد "فروم" على هذا اعتباره الأديب أشدّ الناس اغترابا، لابتعاده وانعزاله عن المجتمع فهو مرهف الحس يتأثر بحوادث الواقع، فيشعر بأنّ "العالم كله سجن أُقحم فيه مرغما فكّبله بقيود وأشعره بأنه غريب بين أهله وناسه"[3]. فعادة معظم الأدباء والفنانين يرفضون المجتمع الذي ولدوا فيه لما يرونه من تهميش وظلم اجتماعي، خاصة وهم الطبقة المثقفة فيعيشون في عزلة ووحدة لافتقار من يفهمهم في الحياة.

وتعتبر ظاهرة الاغتراب من الظواهر النسبية التي تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ومن أهم قضايا هذا العصر العولمة، التي تعد عاملا مساهما في اغتراب الإنسان لأنها "تفكك القيم الاجتماعية والثقافية، وتفقد السيطرة على السلوك الإنساني"[4]، وهذا بسبب سلبياتها ومخاطرها على المجتمع الذي انخدع بمظاهرها وانجذب وراء إبهارها الذي أعمى القلوب وغزا العقول فاختفت بذلك العلاقات الأخوية والاجتماعية، وطغت عليها مشاعر الكره والبغضاء بسبب اختراعات العصر من هاتف وحاسوب وشبكات تواصل اجتماعي...إلخ. دمرت وقضت على هذه العلاقات التي غدت أسيرة المادة والمصالح الشخصية.

[1]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص74

[2]- المرجع نفسه، ص74

[3]- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص186

[4]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص43

## 3- الاغتراب السياسي:

يعتبر الاغتراب السياسي من أكثر أنواع الاغتراب شيوعا في المجتمع، وخاصة في وقتنا الحالي. وتبرز مظاهره في العجز الذي يصيب الفرد لإدراكه أنّ قراراته وأفكاره تفتقد للفاعلية السياسية، بمعنى أنّ "المرء ليس له دور في العملية السياسية، وأنّ صانعي القرارت لا يضعون له اعتبارا ولا يعملون له حسابا"[1]، فيعيش مكبلا بسلاسل هذه الأنظمة القاهرة التي تجبره على مغادرة المجتمع فكريا، وترك الساحة لغيره ما يوّلد عنده الخيبة والإحساس بالغربة اتجاه مؤسسات الدولة فيتعمق شعور الانفصال والهرب لديه من هذا الواقع.

ويأتي في طليعة الاغتراب السياسي علاقة الدولة بالمجتمع والمواطنين، حين يحس المواطن بأنّ هناك قوة فوقية تحكمه بالقوانين والمبادئ الصارمة التي تكون غالبا قوة تسلطية، فيصبح معرضا "للهيمنة على حياته ومصيره و تُسلب منه حقوقه ووسائل التعبير عن نفسه".[2]

وتتأتى أزمة المجتمع المدني من هيمنة الحاكم على المجتمع، وتهمش المواطن والحد من مشاركاته في عملية التغيير، وذلك بحرمانه من حقوقه الأساسية، كإبداء آرائه ومبادراته في المحافل والتجمعات الوطنية، فيضطر –جرّاء ذلك– إلى التمرد والعصيان ما يزيد في عزلته ووحدته التي كانت نتيجة حتمية لهذا الانفصال بينه وبين الدولة سياسيا.

أمّا عن أسباب هذا الاغتراب، فقد قدّم "لونج" (Long) بعض التفسيرات حوله، منها التي ترى أن التمرد السياسي يحدث "عندما يصبح الناس عاجزين أو غير راغبين في المشاركة السياسية في المجتمع أو التنظيمات السياسية، وذلك لضعف العلاقات الاجتماعية والعجز عن الانتماء".[3]

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص93

[2]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص93

[3]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص99

فمسألة انسحاب الفرد عن الساحة السياسية أمر خطير لأنه سيعيش حرية تتصف بالسلبية التي لن تحقق انتماءه للجماعة، بل العكس تجعله فردا متحررا من السلطة الخارجي ما يدفعه للاغتراب والهروب من مسؤولياته التي ستؤدي بالضرورة إلى القضاء على كينونته، ووجوده في المحيط الاجتماعي، وكذا السياسي.

## 4- الاغتراب الاقتصادي:

الإنسان في هذه الحياة ملزم بالقيام بالعديد من الأعمال بغية تأمين لقمة عيشه، ولضمان استمراره في هذا الكون. فبالعمل يترجم الإنسان طاقاته الفكرية و اليدوية، فهو أساس تطور المجتمعات وازدهار الحضارات. إلا أنّ هذا النشاط الإنساني قد يتحكم في الفرد ويخضعه لسيطرته بسبب طغيان المادة وتفشيها في المجتمع الصناعي الحديث.

يؤكد "كارل ماركس" على فكرة اغتراب العامل اقتصاديا بسبب عجزه عن السيطرة على منتجاته التي اكتسبت قوة معادية له، خاصة في المجتمعات الرأسمالية التي "حولت العامل إلى كائن عاجز وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه ومعادية له"[1]، فالعامل صار عاجزا أمام هذه المنتجات، وأصبح شيئا كباقي الأشياء المادية الأخرى.

ويعتبر "ماركس" أنّ نظام الأجرة أحد أهم مسببات اغتراب العامل، لأنّه يأخذ منه حريته وجهده ووقته مقابل أجر زهيد لصاحب العمل، فالعامل رغم "قوة عمله البدنية أو الذهنية هو مجرد سلعة مثمنة مطروحة في السوق تتحكم فيها عناصر العرض والطلب"[2]، فهو كإنسان غير موجود بالنسبة للمنتجين، و أرباب العمل الذين يجهلون أدنى متطلبات حياته فهم لا ينظرون إليه أو يهتمون بحاله، بل تهمهم جودة عمله وقيمتها في السوق.

[1]- وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، ص39

[2]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص113

ومما يزيد من حالات الاغتراب الاقتصادي كذلك حسب ماركس ظهور الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. يقول: « ... وهكذا فالملكية الخاصة تستنتج من مفهوم العمل المستلب الإنسان المستلب...»[1]، فهذه الملكية سلبت من الإنسان شكل العمل الجماعي وحولته إلى شخص فرداني نرجسي يرى مصالحه الشخصية فوق الجميع.

و في العصر الحديث ساهم التطور الصناعي والتكنولوجي في اتساع الهوة بين العامل ووظيفته، فازداد بذلك اغترابه وبعده عن القيم الأخلاقية. وقد أشار "نبيل اسكندر" – في هذا السياق– إلى سلبيات هذا العصر، التي منها العولمة وما أفرزته من أمراض في المجتمعات المتقدمة التي أثّرت بدورها على المجتمعات التابعة لها أو المتخلفة عنها، فهي مجتمعات " تعيش على الفتات المتساقط من فوق مائدة التكنولوجيا الغربية"[2]، لهذا نجد في هذه المجتمعات الاغتراب أشدّ عنفا وضراوة لشعور أفرادها بالدونية والانحطاط عن غيرهم ممن يعيشون في بحبوحة مالية رغيدة. لذلك تراهم في صدام مستمر لتضارب المصالح الشخصية بينهم دائما.

## 5– الاغتراب الديني:

يُعد الدين المتنفس الروحي الذي يغذي نفس الإنسان ويعّوضه عن المعاناة والمحن التي تعترضه في الحياة. غير أنّ "فيورباخ" ذهب إلى أنّه في حد ذاته يُعد نوعا من أنواع اغتراب الإنسان عن نفسه، كون الإنسان "يعكس من خلال إيمانه الديني أفضل ما لديه، وفي نفسه من صفات على ما هو خارج ذاته"[3]. فالدين عنده يتناقض مع العقل والمثل الأخلاقية العليا لأنّه يسلب من الشخص حريته وقدراته، ويجعله عاجزا وخاضعا له. يقول: « إنّ الدين اغتراب لأنّه عالم وهمي يقوم في أساسه على استلاب عقل الإنسان وقدراته الخاصة ».[4]، وهذا الاستلاب

[1]– وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، ص62

[2]– عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص89

[3]– حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص38

[4]– وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، ص87

يأخذ من الشخص الراحة والأمان، ويسكنه في جو مشحون بالقلق الروحي والاضطراب كما يُدخل في عقله عدة تساؤلات حول حقيقة وجوده، ودوره في هذا الكون.

أمّا "هيغل" فيعتبر الاغتراب الديني ملازما للاغتراب السياسي، فالفرد حين يعجز عن التأثير في الساحة السياسية بآرائه وأفكاره يغترب سياسيا ويصاب بالخيبة والفشل اتجاه مؤسسات الدولة، فيضطر للبحث عن قوة تتجاوز ذاته، للاختباء خلفها، فيظهر الدين على أنّه أمر "وضعي يتأسس على سلطة خارجة عن العقل، والدين والسياسة قد لعبا لعبة واحدة من طغيان واحتقار الإنسانية"[1].

وتعتبر العلمانية مظهرا من مظاهر الاغتراب الديني لأنها تدعو إلى فصل الدين عن الدولة مما يزيد من حدة وقوة الحركات السياسية التي كانت تقيدها مبادئ الدين الصارمة من قبل يضاف إليها الصراعات الدينية والطائفية التي استفحلت في عصرنا الحالي، فهي تأزم الوضع وتزيد من تصعيده، لما لها من آثار سلبية على حياة الفرد والمجتمع، فالإنسان في ظلها يعاني الفراغ الروحي والضياع لتشوه مثله الأعلى – الدين– ما يدفعه إلى التعصب واللجوء إلى أي طائفة دينية متطرفة يجد فيها خلاصه وراحته النفسية.

[1]– يحي عبد الله، الاغتراب، ص123

# الفصل الثاني

## تجليات الاغتراب في الرواية وبواعثه

### أولا: اغتراب الشخصية

1/ الحب

2/ البحث عن شخص

3/ العائلة

4/ الهوس والاضطراب الداخلي

### ثانيا: الاغتراب الزماني

1/ الاسترجاع

2/ الاستباق

### ثالثا: الاغتراب المكاني

1/ البحر

2/ القارب

3/ الضفة الأخرى

4/ البيت

### رابعا: الاغتراب اللغوي

## أولا/ اغتراب الشخصية:

تحتوي كل رواية على عناصر سردية تأتي وفق قالب معين في تناسق وانتظام لتشكل نسيجا متكامل الأجزاء، ومن هذه العناصر الشخصية التي تعتبر لسان الراوي ومحرك الأحداث إنها ركيزة أساسية في أي رواية.

وتعد الشخصية الحجر الرئيسي في العمل الروائي, فهي منبع الأحداث ووسيلة الكاتب للتعبير عن رؤيته، فهي عنصر فعّال وهام، وما يؤكد فاعليتها ما أورده "رولان بارت" (Roland Barthes) عنها حين قال: « ويمكننا أن نقول أنه ليس ثمة قصة واحدة في العالم من غير شخصيات»[1]، فلا وجود لرواية من دون شخصيات، فهي كالكائنات الورقية التي تتحرك وتساهم في تغيير الحدث من حال إلى آخر.

ولا يتأتى فهم وإدراك مفهوم الشخصية حسب "حسن بحراوي" إلا من خلال قراءة الرواية كاملة. قال: « الشخصية كمورفيم سيمتلئ تدريجيا بالدلالة كلما تقدمنا في قراءة النص».[2]

فمفهوم الشخصية لا يظهر للعلن منذ البداية، بل لابد أن نتدرج في القراءة سطرا سطرا حتى نصل إلى المعنى الأخير مع انتهاء الرواية.

و بما أنّ الرواية موضوعها الإنسان، فهي تحمل آماله وآلامه، وشخصياتها بمثابة "محور تتجسد المعاني فيه والأفكار التي تحيى بالإنسان أو يحتاجها الأشخاص وسط مجموعة القيم الإنسانية التي يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلا مع الوعي العام، في مظهر من مظاهر التفاعل بحسب ما يهدف إليه الكاتب"[3]، فالشخصية حاملة لحالات المجتمع ومظاهره المختلفة من فرح وحزن ومعاناة، ما يدخلها جوا مشحونا من العواطف والمشاعر المتضاربة كالكبت والوحدة، فتبدأ

---

[1]- فطيمة الزهرة خناب، الاغتراب في رواية سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج، ماجستير، (مخطوطة)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2012، ص49

[2]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص213

[3]- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، لبنان، (دط)، 1986، ص262

رحلة اغترابها وانفصالها عن ذاتها وواقعها، ويغزوها الاغتراب بشتى أشكاله ليبسط عليها ردائه ويسكنها في الظلام. و من هذه المظاهر الاغتراب النفسي الذي سوف يكون محور دراستنا باعتباره أول بذرة لاغتراب الشخصية، والذي سيتحول مع الوقت إلى اغتراب اجتماعي بحكم احتكاك الشخصية بالمجتمع و تأثرها بتغيراته المختلفة.

وقد رأينا أن نتوسع قليلا في هذا المكون السردي- الشخصية- لأنّ الظاهرة المدروسة تتعلق به كذات تعاني ويلات الاغتراب هذا من جهة، ومن جهة أخرى كثرة وتعدد الشخصيات في الرواية ما دعا إلى تصنيفها وضبطها وفق الغرض أو السبب الذي اقتضته الضرورة.

تنطلق أحداث الرواية بشخصية "صقر" ذلك الصياد البسيط الذي عانى الحرمان والأسى أولا بسبب فقده لولده "أيوب" صاحب الست سنوات والذي قضى نحبه في البحر، وثانيا طلاقه من زوجته التي اعتبرته سببا في وفاة ابنها، الذي أحزنها خبره. فقررت تركه والتخلي عنه لأنّها اعتبرته "مسؤولا عن هذه المأساة، فطلقها صقر بعد أن طلبت ذلك وذهبت لأهلها"[1]، وفي المقابل فضّل "صقر" البقاء ورفض الرحيل عن المكان الذي فاضت فيه روح ابنه لأنه كان "جزءا منه يحاكيه حبا في أيوب"[2].

لقد عانى "صقر" الحزن والانكسار طيلة حياته، وما خفف عنه هذه الأوجاع قليلا هو التقاؤه ذات يوم بتلك الموجة صدفة، و التي عقدت معه اتفاقية سرية مفادها، "سأقص لك حكاية المهاجرين السريين الذين لم أتوان أبدا في رميهم في أعماق البحر. وأن تعتبر كل قصة أمانة عليك الحفاظ عليها وإيصالها إلى من يقدر على استغلالها لأجل أن تتم السيطرة على الهجرة غير الشرعية".[3] هذه كانت رسالة الموجة إلى "صقر" بعدما تعهد لها بحملها وإيصالها للعالم، وعليه

[1]- عبلة قدوار، اعتراف موجة، دار الخلدونية، الجزائر، الجزائر، (دط)، 2013، ص8

[2]- المصدر نفسه، ص8

[3]- المصدر نفسه، ص11

دراستنا تنطلق من هذه القصص التي سترويها الموجة له، ونظرا لكثرة القصص وتعدد الشخصيات رأينا أن نصنفها ونعزوها إلى دواع وأسباب من أجل الإحاطة بالظاهرة من كل جوانبها.

ولقد كانت دوافع اغتراب الشخصية في الرواية كالآتي :

## 1- الحب:

يعتبر الحب من أهم المشاعر الحميمة التي تربط أفراد المجتمع، فهو "شعور معنوي غايته ربط نفسين ببعضهما البعض"[1]، لكنّ هذا الشعور الجميل يتحول في رواية "اعتراف موجة" إلى علاقة جفاء وتنافر تدعو إلى الحزن واليأس ما يدفع بصاحبها إلى ترك كل شيء وتفضيل الرحيل والاغتراب على البقاء، وهذا ما حصل في قصة "نسيمة" التي عانت من ويلات هذا الحب الذي جاءها من حيث لا تدري فكان المكان والزمان غير مناسبين لحدوثه.

تبدأ رحلة اغتراب "نسيمة" من فقدها لوالدها الذي طالما اعتبرته أهم شخص في حياتها "وقبل أن تحدث الخطبة توفي والدها في حادث سير ففقدت بذلك أهم ركيزة لها بالحياة"[2]، تلاه بعد ذلك انفصالها عن خطيبها الذي أصر على الزواج منها رغم وفاة والدها لكنّها رفضت هذا وتخلت عنه.

هذا الحب الذي افتقدته "نسيمة" في حياتها أملت عودته في شخص "خالد" زميلها في سلك التمريض، لكنّها لم تكن تعلم أنها فتحت باب الآلام على حياتها من جديد، حين وقعت في حبه رغم علمها بأنه متزوج ولديه أطفال، "إنّه أب لتوأم ذكور وطفلة"[3]، لكن هذا لم يمنعها من حبه أو محاولة نسيانه، بل على العكس تماما كانت تتحجج وتصنع الأعذار له عند كل

[1]- عمر رضا كحالة، الحب، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط1، 1978، ص32

[2]- الرواية، ص22

[3]- المصدر نفسه، ص30

نقاش مع صديقتها بشأنه، و مما جاء قولها "جربت مرارا احتقاره ونبذه من قلبها لكنها لم تكن تفعل بل دائما تصنع له الأعذار"[1].

هذه الأعذار الواهية أوصلتها لدرجة تفضيل نفسها زوجة ثانية له على تركه، كما جاء على لسانها: "مادمت زوجة ثانية لخالد أقبل بكل حب".[2] هذا ما كانت تقاسيه "نسيمة" لأنّ حب المرأة كما يقال "أكثر سرا وغموضا، وأكثر دواما وحيوية"[3] من الرجل، ما اضطرها مع مرور الأيام إلى أن تصير تابعة له، وهو ما يُعرف بالاستلاب الذي هو "تعبير عن حالة الإنسان العقلية عندما يدخل في أي علاقة اجتماعية تجبره على أن يسلك وفق ما يريده الآخر، وليس وفق ما يريده هو"[4].

و الذي زاد من حالة اغترابها نفسيا شعورها بالهزيمة والفشل، خاصة عندما سمعت بأنّ زواج "خالد" من زوجته كان عن قصة حب مريرة كافح من خلالها لنيلها، ومما جاء قولها "فخالد عاش قصة حب قوية مع زوجته قبل زواجهما...معلنة أنّه إما تتزوج خالد برضا والدها أو أنّها ستهرب معه فما كان على والدها إلا الرضا وقبول زواجهما"[5]، في تلك اللحظات وبعد سماع هذه الكلمات أحست "نسيمة" "أنّها مجرد فاشلة ساذجة وغبية تطير بجانب خالد"[6]. الأمر الذي دفع بها إلى تفضيل الرحيل على البقاء والعيش على هامش هذا الحب الذي لم تخلق له فتقرر الرحيل فإما "أن تصل إلى الضفة الأخرى وتبدأ حياة جديدة... أو أن تعيش على ذكرى الحب الذي لم يكن الزمان ولا المكان مناسبين له"[7].

---

[1]- الرواية، ص32

[2]- المصدر نفسه، ص33

[3]- عمر رضا كحالة، الحب، ص23

[4]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص36

[5]- الرواية، ص35

[6]- المصدر نفسه، ص35

[7]- المصدر نفسه، ص36

هذه قصة "نسيمة" التي انساقت وراء أحاسيسها ومشاعرها المرهفة، وقد كان سبب خطئها هذا الحب الذي قضى عليها، وصدق من قال: "ومن الحب ما قتل". وما زاد من سوء حالتها إخفاؤها وكبتها لهذه المشاعر داخلها، والذي ولّد لديها صراعا تجاذبته أحاسيسها الجياشة والواقع الاجتماعي. لينتصر في الأخير هذا الهوس- الحب- ويؤدي بها إلى الهلاك والضياع وسط أمواج البحر المتلاطمة فكانت بذلك مرثية ومأساة لهذا الحب.

و من قصص اغتراب الحب كذلك قصة "إسلام" الذي مُنح قلب محب، لكنّه أعطاه لشخص لا يستحق فكانت بذلك نهايته. تنطلق مأساته بفقدانه لوالدته التي أحبته بشدة لأنها رزقت به بعد سنين عجاف من الانتظار، وبالمقابل كان هو كذلك يبادلها هذا الشعور، والذي جاء في القول "وصل إلى الحقل وبقي طيلة مسافته يحاول استنشاق عطر والدته"[1]، و"تردد إلى المنزل ولا وجهة أخرى وما همّ قلبه سوى أن يرى والدته بخير عند الباب تنتظره".[2] فكان لفقده إياها أثرا بليغا في تكوين شخصيته التي زُرعت بهذه العاطفة الجميلة.

الحب رغم كونه صفة جميلة في الإنسان، إلا أنّه قد يتحول إلى نقطة ضعف قاتلة تودي بصاحبها للهلاك إن لم يستطع كبح جماحه و التحكم فيه، وهو ما حصل "لإسلام" حينما تعرف على "فهيمة" في قريته، ونشأت بينهما علاقة حب لكنّها رفضتها لأنّها الابنة المدللة عند والدها وصاحبة الجاه التي لا يرد لها طلب، فبوصولها للثانوية أدركت أنها "كبرت وأنّ أحلامها لم تعد تتعلق بتلك القرية ولا بشخص إسلام"[3]، فبعد قصص الحب التي أوهمته بها في البداية تخلت عنه وتركته بكل بساطة ما زاد في مأساته وحزنه على فراقها، لكنّه رغم كل هذا لم ينسها ولم ينسى

[1]- الرواية، ص103

[2]- المصدر نفسه، ص103

[3]- المصدر نفسه، ص106

حبها لأنّ "لبعض الرجال طبيعة عشقية خالصة ما يجعل سحر النساء وجاذبيتهن تغويهم وتتسلط عليهم"[1].

ومن أمثلة ذلك :[2]

إسلام : أريد أن تسمعيني فعندي كلام سيفرحك

فهيمة : تكلم أنا مستعجلة

إسلام : إنّه الخاتم الذي وعدتك بأني سألبسك إياه يوما

نظرت له فهيمة بتعجب : تلبسني إياه، لكن لماذا ؟

إسلام : ما بك يا فهيمة .... أنا آت لطلب يدك غدا

فهيمة بضحكة ماكرة : تطلب يدي؟ هكذا بكل بساطة، و كأن القرار لك وحدك

لقد أسهمت هذه المقاطع الحوارية في تفاقم الاغتراب عند "إسلام" من خلال زيادة الهوة بينه، و بين "فهيمة" لأنّه أحسّ بالتكبر والتعجرف في تصرفاتها دون فقد الأمل في عودتها إليه إلى أن جاء ذلك اليوم الذي أخبرته بقرار الانفصال عنه، والذي جاء على لسانها "لا أفكر في الزواج وأظن أنّه عليك أنت أيضا أن تصرف نظرك عن الموضوع وعني كذلك"[3]، وبهذا انتهت قصة الحب هذه. أمّا "إسلام" المسكين فقد "عاد مكسور الخاطر والدموع لم تكابر لحظتها بل سرت على خديه".[4]

[1]- عمر رضا كحالة، الحب، ص25

[2]- الرواية،ص 107-108

[3]- المصدر نفسه، ص95

[4]- المصدر نفسه، ص108

فأحسّ بالاختناق والضيق وقرر الذهاب إلى الضفة الأخرى بعدما سمع جماعة تتحدث بهذا الأمر، معتقدا أنّه هناك سيصبح "سيدا يليق بمقام المراقب وابنته فهيمة".[1] فشباب كثر مثل "إسلام" ضيّعهم مثل هذا الحب الذي كانت ضريبته الموت في سبيله، لشعوره في لحظة بالضعف والانهزام، ما دفعه إلى الانتحار حين قرر صعود ذلك القارب.

## 2- البحث عن شخص:

تبدأ قصص اغتراب الشخصية عادة من الجانب النفسي، حين يغلب عليها الضياع واللامبالاة من طرف الآخرين، فتدخل في حالة جفاء وفتور نفسية تتحول مع الوقت إلى قلق واضطراب خاصة عند غياب أحد الشخصيات المميزة والمؤثرة في حياتها، وهو ما سنراه في قصة "جمال"، وقصة "أشياع" حين يتحول حلم رؤية الوالد إلى هوس في حياتهما فينطلقان في الاغتراب والبحث عن هذا الحلم المفقود.

يعد القهر التربوي و الافراط في استخدام السلطة الأبوية عاملا من عوامل اغتراب الشخصية، وهذا ما حدث "لجمال" مع زوج والدته "صالح". تبدأ رحلة مآسيه بفرار والده وتخليه عنه وهو في بطن أمه، "غادر قدور ولم يعد"[2]، وكذا حرمانه من دخول المدرسة كباقي الفتيان رغم كبر سنه، "أصبح عمر جمال عشر سنوات، بلغ هذا العمر ولم يدخل المدرسة"[3].

و ما زاد في حالة اغترابه قسوة زوج والدته على أمه التي كانت تعاني الويلات منه ومن أمثلة ذلك: "دخل صالحا وهو يصرخ... مناديا فطيمة حمار العمل لديه"[4]، وكذلك "هاي يا صماء أين أنتِ تعالي واحملي هذه الأكياس إلى داخل المخزن"[5]. وضعية العذاب

[1]- المصدر نفسه، ص 112

[2]- الرواية، ص48

[3]- المصدر نفسه، ص48

[4]- المصدر نفسه، ص51

[5]- المصدر نفسه، ص51

هذه واليأس أدخلت "جمال" حالة من العجز، وهي "شعور الفرد باللاحول واللاقوة، وأنّه لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها"[1]، خاصة وهو يرى العذاب الذي تتعرض له والدته وهو مكتوف اليدين ما أجّج داخله مشاعر الكره والحقد اتجاه نفسه، واتجاه أهل والدته الذين كانوا يشاهدون هذا الظلم وهم صامتون على الرغم من أنهم يحتلون القرية بأكملها ما جاء في القول "أهلها يحتلون القرية بكاملها من حيث العدد والمكانة".[2]

هذا العجز والكبت ولّد لدى "جمال" الاضطراب والضياع، خاصة بعد وفاة والدته التي كانت سنده في الحياة، الأمر الذي دفعه إلى ترك كل شيء وتفضيله الهجرة بحثا عن والده الضائع منذ سنوات رغم قلة المعلومات عنه، "فلم يجد نفسه إلا وهو بهذا القارب، لأنّه السبيل الوحيد الذي سيساعده للوصول إلى والده الذي يعرف عنه القليل".[3]

هذه قصة "جمال" الذي لم يعرف سوى الشقاء والمعاناة طوال حياته، رغم حب وعطف والدته الذي لم ينفعه في مجتمع عنوانه البقاء للأقوى، فاضطر إلى الرحيل بحثا عن هذا الأمل المفقود.

من خلال ما سبق يتضح أنّ للوالدين دورا مهما في حياتنا خاصة إذا فقدنا واحدا منهما في سن مبكرة، وهو ما كان مع "أشياع" تلك الفتاة التي أحبت والدها كثيرا لكنّها ضيعّت نفسها في الأخير حين قتلت هذه المحبة.

تبدأ حياة اغتراب "أشياع" بفقدها لوالدها واختفائه فجأة دون سابق إنذار، "باديس اختفى ولم يعد له أي أثر"[4]. الأمر الذي سبّب لها نوعا من الهوس والاضطراب، وهي "حالة من اللاواقعية حالة من الوجود الزائف مع نفسه"[5]، حين نتوهم وجود شخص ما في حياتنا

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص37

[2]- الرواية، ص53

[3]- المصدر نفسه، ص57

[4]- المصدر نفسه، ص65

[5]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص24

وهو غير موجود أصلا، ما دفعها إلى استحضار والدها في كل لحظة وقصّ ما يحدث معها له، مما جاء في القول "تنفصل عن الواقع الذي تعيشه، مستحضرة والدها لجانبها وتأخذ تحكي له كل الذي يحدث لها"[1].

هذا الهوس فرض عليها تغيير تخصصها الجامعي الذي حلمت به وهو الطب إلى تخصص آخر بسبب ظروفها ونفسيتها المتعبة، والذي تجّلى في قول الراوية "جعلت عائلتها تغير تخصصها إلى التاريخ"[2]، والذي زاد في حدة الاغتراب وشدته لديها.

كل هذا، والزمن مازال يخبئ لها مزيدا من الانكسارات والمعاناة، فبدخولها الجامعة تعرفت على أخ صديقة لها هناك، ونشأت بينهما علاقة حب بذلت لها "أشياع " الغالي والنفيس لإنجاحها، لكنّ أخت صديقتها استطاعت تدمير هذه العلاقة واللعب بعقل أخيها وتنفيره منها فانفطر قلبها وتحطم، لفقدانها حب حياتها، "انكسر قلب أشياع وتمزقت كل الأحلام، وانفجرت بداخلها رغبة تفجير نفسها ومن حولها".[3]

كل هذا الألم والمعاناة أعاد من جديد الهوس الذي كان بداخلها عن والدها، لكن هذه المرة اتخذته "أشياع" حجة "لجذب الاهتمام لا غير، مغيرة هندامها إلى أشياع المتبرجة محبوبة الرجال"[4]. وبهذا ماتت العفة، وقتلت البراءة التي رسمها "باديس" في شخص ابنته. فكل هذه المآسي في حياتها اضطرتها إلى الرحيل وركوب قارب الهلاك، وتفضيلها" الموت غرقا أو اللحاق بوالدها"[5].

هذه قصة "أشياع" التي سمحت لعواطفها بالتحكم فيها، فرحلت لاهثة وراء حلم الوالد الذي سكن قلبها منذ سنين.

---

[1]- الرواية، ص66

[2]- المصدر نفسه، ص66

[3]- المصدر نفسه، ص70

[4]- المصدر نفسه، ص71

[5]- المصدر نفسه، ص72

## 3- العائلة:

لا يكتفي الاغتراب بغزو النفس والتغلغل داخلها وإشعارها بالوحدة فقط، بل يصل مداه إلى المجتمع لتأثر الشخص بمظاهره المختلفة، وأول متضرر من كل هذا الأسرة لأنّها نواة المجتمع الأولى التي بصلاحها يصلح والعكس. فالعائلة أهم صلة تربط الإنسان بالحياة، والتي يضطر للتضحية من أجلها بشتى السبل حفاظا عليها، ما يدفعه إلى الاغتراب مجبرا لأجلها، كحال "إياد" الذي عانى القسوة والجبروت من الجميع بسبب حبه لعائلته، خاصة ابنته الصغيرة "أمل" التي كانت سبب اغترابه.

تنطلق مأساة "إياد" من عائلته التي كانت ثمرة علاقة محرمة بينه وبين "سامية" التي أحبها منذ الصغر، لكن لصغر سنه وعدم تفكيره في عواقب الأمور وقع في المحظور الذي كانت نتيجته أنّ "سامية أصبحت تحمل في داخلها ثمرة حبهما"[1]، ما أشعل نار العداوة بين العائلتين وبهذا قطعت صلة الرحم بينهما. لكن رغم هذا استطاع "إياد" و"سامية" الزواج بعد الهروب من جحيم أسرتيهما.

وما زاد في مأساة "إياد" مرض ابنته وعجز الأطباء عن شفائها وسوء حالها من عام لآخر ما أرقّ حاله وأرهقها، يضاف إليها تخلي الأهل عنه في مثل هذه الفترة الحرجة، والذي ورد في القول "حتى هنا لم يهتم الأهل بحال مرض أمل"[2].

هذه الصعوبات و المشاق أدخلت "إياد" حالة من اللاحول وعدم الرضا، وتكون عادة "باقتناع الشخصية باستحالة العيش في عالم صعب، وطبيعة شرسة"[3]، خاصة عند اشتداد المرض على ابنته وتهاون الأطباء في علاجها، وهو الذي حصل في أحد الأيام، "أخذ الطبيب يفحصها

[1]- الرواية، ص76

[2]- المصدر نفسه، ص79

[3]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص41

فحصا يفحص عادة في دوريات الفحص بالمدارس"[1]. رغم علمه بسوء حالتها وتذكير "إياد" له بالحال الذي كانت عليه من قبل والحال الذي هي عليه الآن، لكن ببرودة دم ذاك الطبيب لم "يكن يرى شيئا، ولا يصغي لأحد، توجه إلى مكتبه، وجلس ليتناول قلما وورقة مباشرا في كتابة وصفة"[2] ما جعل "إياد" يخرج عن صمته ويعلن ثورة على هذا العالم، ونفسه تقول بأنّه "ذاق ذرعا بعقوبة البشر له على خطيئته... مرتميا على الطبيب محاولا خنقه"[3]، ومرددا في نفس الوقت "إنها البراءة التي تموت كل يوم بسبب استهتاركم، أين عزة الطبيب وتفانيه في العمل أين أنتم أيها البشر، سحقا لكم"[4].

كل هذه الآلام في حياة "إياد" دفعته دفعا إلى الرحيل خاصة بعد وفاة ابنته بسبب المرض. هاجر تاركا زوجته تقاسي الحزن والوحدة بمفردها بعد أن أخبرها قائلا: "سأذهب إلى الضفة الأخرى لأملك المال وأعيش رجلا".[5]

هذه حال من يضع أساسا خاطئا لحياته منذ البداية، لكن هذا ليس مبررا لقسوة الأهل والمجتمع على "إياد" الذي أفنى حياته من أجل إسعاد عائلته التي بسببها ركب قارب الموت بعد نفاذ كل الخيارات المتاحة أمامه. وهو حال كثير من الشباب اليوم عندما يعانون التهميش ولا يجدون من يأخذ بأيديهم إلى بر الأمان.

ومن قصص اغتراب العائلة كذلك قصة "علي" الذي عرف الحرمان والشقاء منذ ولادته فقد مات والده، وهو في بطن أمه الأمر الذي دفع بوالدته إلى تحمل المسؤولية كلها بعد تخلي الأهل عنها بسبب أولادها. وعاش "علي" المعاناة بتربيته يتيما بين أقرانه، وصعوبة المعيشة التي

[1]- الرواية، ص82

[2]- المصدر نفسه، ص83

[3]- المصدر نفسه، ص84

[4]- المصدر نفسه، ص84

[5]- المصدر نفسه، ص86

فقدت فيها عائلته كل شيء بسبب جشع وطمع الأهل الذين جردوهما من ممتلكاتهما، كما هو صريح في قول الروائية "طبّق الأهل حكمهم وجردوا تلك العائلة من كل شيء".[1]

كل هذا الحرمان والأسى أدخل الشخصية حالة من الاغتراب عن الذات، وهي حالة "تقضي على كل شعور بالأصالة، وتنزع عن الإنسان كل ما لديه من قدرة على تحمل المسؤولية والاستقلال بالرأي واتخاذ القرار"[2]، و كان من تداعياتها تركه للدراسة في سن مبكرة، وتفضيله العمل لإعانة أهله بصفته رجل البيت الوحيد، والذي جاء على لسانه " أمي لقد توقفت عن الدراسة".[3] لأنني ببساطة "تعبت من النظر إليك، وأنتِ تنظفين أماكن هؤلاء البشر الذين لا يرحمون أبدا"[4].

فكل هذه الصعاب والمعيقات في حياته اضطرته إلى الرحيل بعدما استطاع أصدقائه إقناعه بالهجرة إلى البلاد الأخرى لكسب الرزق في ظرف وجيز، وهو ما كان حين جمع أغراضه وتسلل خارج المنزل أثناء نوم أهله تاركا لهم رسالة قال فيها "أنا ذاهب إلى الضفة الأخرى وسأعود بالكثير من المال"[5].

هذه قصة "علي" الذي ارتسم حب عائلته في نفسه رغم كل الظروف القاسية التي مرت به، ما دفعه إلى السفر إكراما لهذا الحب لكنّه أخطأ السبيل لذلك معتقدا أنّ الضفة الأخرى مكان أفضل للعيش الكريم.

[1]- الرواية، ص90

[2]- إريك فروم، الإنسان المغترب، تحقيق: حسن حماد، دار الحكمة، القاهرة، مصر، (دط)، 2005، ص122

[3]- الرواية، ص94

[4]- المصدر نفسه، ص94

[5]- المصدر نفسه، ص96

## 4- الهوس والاضطراب الداخلي:

يرتبط مفهوم الهوس لدى الإنسان بما يقع له من "اضطرابات نفسية وعقلية، وما يشعر به من غربة في العالم، وفتور أو جفاء علاقته بالآخرين"[1]، وكل هذا مرده إلى تضارب المشاعر والأحاسيس في نفسية الشخص وصعوبة التحكم فيها، والانصياع لها في غالب الأوقات. هذا ما حدث مع "مراد" فرغم عيشه في كنف عائلته إلا أنّ هذا لم يمنعه من الشعور بالمعاناة والاغتراب بسبب عواطفه المتضاربة، والتي ازدادت خاصة بعد وفاة جدته لأنّه بهذا فقد مكانته كحفيد مدلل للعائلة، والذي تجّلى في القول "اضطربت الأحاسيس والانفعالات في داخله خاصة بعد وفاة جدته...فاضطر إلى ترك الدار التي نشأ فيها الحفيد المدلل والمحبوب"[2].

هذا الألم دفعه إلى ترك الدراسة والذهاب للعمل بسبب والده، لأنّه كان لا يرى في ولده إلا دنانير يأخذها ويضيفها إلى حسابه، ما زاد في اغترابه وأدخله دوامة من الضياع تجاذبتها أطراف "أحاسيسه المرهفة...وحسابات والده، ومتطلبات والدته، وسعيه الدائم لجذب الانتباه له".[3]

شعور "مراد" بعدم الاهتمام من طرف الآخرين ولّد لديه عزلة اجتماعية، وهي "الافتقاد إلى الأمن، والعلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم".[4] الأمر الذي أوصله إلى العيش في حالة من الهوس، حين أخذ يؤدي دور كل حكاية يسمعها عن أصدقائه، وكأنها حدثت معه، ما جاء في هذا المقطع "فلطالما أرّق أهله... حين يتصل بهم فيخبرهم تارة أنّ الشرطة أمسكته رفقة أصدقائه مشتبها بهم... أو أنّه قصد حانة وشرب حتى الثمالة"[5]. فهذه الأوهام أثّرت على حياته تأثيرا سلبيا دفع بأهله إلى تركه وإهماله لأنهم سئموا هوسه

[1]- أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي، ص24

[2]- الرواية، ص152

[3]- المصدر نفسه، ص152

[4]- يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص19

[5]- الرواية، ص153

وانفعالاته الكاذبة، ما اضطره إلى الرحيل، وركوب ذاك القارب الذي لا يعلم سبب تواجده فيه أو ماذا يريد من الحياة.

فمراد رغم حسن أخلاقه إلا أنّ اضطرابه الداخلي أثّر في شخصه وجعله يهيم في عالم من صنع خياله، عالم وهمي حلم بالعيش فيه يوما، "فهو يتمنى أن تستيقظ والدته وتعد له الفطور حين يكون ذاهبا للعمل، أو تعد له أكلا يحبه..."[1]، فهذه الأوهام و التهيؤات قادته إلى المحظور كباقي ركاب ذلك القارب المشؤوم.

من خلال ما سبق يتضح أنّ اغتراب الشخصية في الرواية كان لعدة أسباب، منها ما هو ظاهر جلّي، ومنها ما هو خفي باطن. و لقد نجحت الروائية في رسم هذه الصورة من خلال إبراز أوجاع هذا المغترب، ومعاناته في الحياة.

## ثانيا/ الاغتراب الزماني:

يعدّ الزمن مكونا أساسيا في بناء الرواية، فهو يحدد طبائع الشخصية و سلوكياتها حينما تتحرك في الحاضر معتمدة على تجارب الماضي، ومتطلعة إلى حوادث المستقبل. لقد احتل الزمن أهمية كبيرة في جميع المجالات لاسيما المعرفية منها، وقد حظي باهتمام الأدباء والمفكرين باعتباره من أهم العناصر السردية التي تقوم عليها الرواية.

ورد في لسان العرب عن دلالاته قول "ابن منظور": « الزمن والزمان اسم ورد لقليل الوقت و كثيره، وفي المحكم الزمن والزمان العصر، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة »[2]. فهو كل لحظة يعيشها الإنسان في هذا الوجود سواء كانت قصيرة أو طويلة، إنّه لصيق بالوجود الإنساني في الكون.

وبما أنّ الزمان مرتبط بالوجود، فهو "موكل بالكائنات، ومنها الكائن الإنساني يتقصى مراحل حياته، و يتلوّج في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء، ولا يغيب عنه منها فتيل. كما تراه

[1]- الرواية، ص154

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ص1867

موكلا بالوجود نفسه، أي بهذا الكون يغير من وجهه ويبدل من مظهره، فإذا هو الآن ليل وغدا هو نهار"[1]. إنّه يعني الاستمرارية والديمومة دون انقطاع في هذه الحياة من خلال تأرجحه بين الأزمنة الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل.

وتبرز أهمية الزمن في الأعمال السردية من خلال صعوبة فصله عنها، أو دراسته بعيدا عنها لأنّه ببساطة "يتخلل الرواية كلها ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية، فهو الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية".[2] وقد عدّه "عبد المالك مرتاض"، "لحمة الحدث وملح السرد وصنو الحيّز و قوام الشخصية".[3] فالزمن مرتبط بحركة الأحداث اللصيقة بالشخصيات، لهذا لا يمكن دراسته بمفرده أو بمعزل عنها.

قد يصيب الزمن نوع من الخرق يتجسد في فقد التوازن والتوافق مع أحداث الحاضر فيدخل الشخص في دوامة من الضياع والفوضى لغياب هذا الانسجام، وهو ما يعرف بالاغتراب الزماني. وقد مثّل "نمطا من أنماط الاغتراب حين تناول الزمن بوصفه قوة فاعلة ومؤثرة في الإنسان إذ بات الزمن يمثل محورا أساسيا في تشكيل ظاهرة الاغتراب الإنساني وذلك من خلال فقدان التوافق النفسي والانسجام الذاتي مع اللحظة التي يحياها الفرد"[4].

وهو اللحظة المفقودة التي يتمنى الإنسان عيشها جرّاء رفضه لواقعه فيعود بذلك إلى دفاتر الماضي العتيق ليحظى بهذه النشوة، أو يبحث عنها في طيات المستقبل بين الأحلام، وهو ما يعرف بالاسترجاع والاستباق في عالم السرد.

[1]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية : بحث في تقنيات السرد، دار عالم المعرفة، الكويت، الكويت، (دط)، 1998، ص171

[2]- فريدة إبراهيم بن موسى، زمن المحنة في سرد الحكاية الجزائرية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأدرن، ط1، 2011، ص60

[3]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص178

[4]- أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي، ص75

## 1- الاسترجاع:

الاسترجاع هو"كل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد استذكارا يقوم به لماضيه الخاص ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة".[1]، فمن خلاله تتوقف حركة السرد الطبيعية، وينحرف الزمن الحاضر إلى الماضي ليخلق خرقا في بنية الأحداث.

و قد برز الاسترجاع كثيرا في الرواية على لسان الشخصيات لكن بدرجات متفاوتة حسب الحالة النفسية لكل منها. وأول ما نبدأ به قصة "نسيمة" التي عانت من ويلات الحاضر، فاتخذت الماضي ملاذا لها تسترجعه كل ما ضاقت بها الدنيا، فقد ورد في القول "أوقف سير سرد الحكاية تنهيدة قاسية من نسيمة حنينا لتلك الأيام"[2]، وكذلك "كانت نسيمة تسرق بعض اللحظات من حياتها وتقف أمام ذلك الجدار رغبة في العودة إلى الأيام الخوالي"[3]. فلم تجد أمامها سوى العودة إلى الماضي وتذكر أيام الطفولة البريئة، حين كانت تقف مقابلة جدران بيتها مستذكرة كل لحظة سعيدة قضتها بين هذه الجدران.

فكل تلك الذكريات المعبأة بالشوق والحنين عوضتها عن نكسات الحاضر و خيباته لأنّ "الماضي جزء لا يتجزء من الحاضر ولا ينفصل عنه، فهو منسوج في ذاكرة الشخصية ومخزون فيها"[4]. فهو موجود في كيان أي شخص يستحضره عندما يتعرض لضغوطات الحاضر، خاصة انتكاسة الحب كما عاشتها "نسيمة" ما دفعها إلى نفي وإنكار هذه الصفة الجميلة من العالم والذي تجّلى في قولها "آمنت بالحب والحب غير موجود بين بني البشر"[5]، وكان عزاؤها في وحدتها قطتها التي رأت فيها مصدر الحب الذي لم تره بين الناس، وفي هذا الموقف كأنها تحاكي الشاعر "الشنفرى" الذي فضّل العيش مع حيوانات البرية على أهله لأنّه رأى فيها الصديق المفضل

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص121

[2]- الرواية، ص20

[3]- المصدر نفسه، ص21

[4]- مها حسن قصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص32

[5]- الرواية، ص35

والأنيس لوحدته على بني جلدته. فموقف "نسيمة" يشابهه، حين قالت: " ليس هناك حب إلا الذي جمعني مع قطتي التي تستقبلني عند الباب وأنا أزور أختي... وحين ماتت شيّعت جنازتها وبكيتها"[1]. فكان هذا مرثية حبها الذي ظنت أنها ستجده في ثوب الحاضر.

تتذكر "نسيمة" كل هذا وفي نفسها حرقة على حبها الضائع الذي دفعها إلى تذكر الماضي تضميدا لجراحها ومواساة لنفسها من خيبات هذا الزمن.

ويبرز الاسترجاع كذلك في قصة "إسلام" حين كان يتذكر الأيام التي قضاها مع والدته وهو صغير، فقد جاء في القول "وصل إلى الحقل وبقي طيلة مسافته يحاول استنشاق عطر والدته ذلك العطر الذي لم تضعه يوما على جسدها"[2]، فهو لم يجد سبيلا لنسيان نكبات الحاضر إلا بالعودة إلى الماضي وتذكر أيام طفولته الجميلة التي عاشها مع والدته بين تلك الحقول الخضراء يتذكر منها رائحة الأمومة، تلك الرائحة التي لا تعطى إلا بالبر وطاعة الوالدين.

فقد استخدمت الروائية "الأم" كرمز للحنان والعطف الذي فُقد في عصرنا هذا، بعد استبداد الأنانية والمادة على مجتمعنا. فهي المنبع الذي يغدق بكل ما هو جميل في حياة "إسلام" "كانت تمر أيامه وهو يعيش حب والدته"[3]. هذا الحب الذي ارتسم في نفسه منذ الصغر تحطم على شواطئ الحاضر حين تخلت عنه محبوبته، ورفضت حبه ما دفعه إلى استذكار الماضي ليخفف عنه ولو قليلا وطأة حوادث هذا الزمن.

فهروب "إسلام" إلى دهاليز الماضي كان بسبب مآسي الحاضر التي عاشها بسبب فشل قصة حبه، هذا الشعور الذي أراد عودته من جديد في شخص والدته الراحلة من خلال تذكر آثارها ولمحاتها في حياته.

---

[1]- الرواية، ص35

[2]- المصدر نفسه، ص103

[3]- المصدر نفسه، ص105

لا يمثل الاسترجاع دائما ذلك الماضي الجميل الذي ترتاح الشخصية بالعودة إليه وتذكره بل قد يصبح كابوسا يسبب لها المعاناة والأسى بمجرد تذكره. وهذا ما لمسناه في قصة "إياد" الذي عانى من قسوة الحياة حين يتذكر ما مرت به ابنته وهي تصارع المرض، وكذا قسوة الأهل الذين منعهم كبرهم من مد يد المساعدة له، فقد ورد في القول "ماتت أمل لجبروت وقهر الأهل"[1].

هذا القهر الذي عانى منه "إياد" حين يعود بذاكرته للوراء ويتذكر تلك الأيام القاسية التي منعت أهله حتى من تقبيل ابنته رغم مرور سنين على تلك الحادثة التي غيّرت حياته، والذي تجّلى في المقطع "إنها عاثرة الحظ لأنّ الذين كانوا ينبغي أن يروها لم ينحنوا يوما ليسلموا عليها"[2]. لهذه الدرجة وأكثر. و ما زاد في معاناته تذكره لذلك الطبيب الذي تهاون في علاجها رغم صراخها وآلامها، "لم يأبه لصراخ أمل واستنجاد والديها في تلك اللحظات"[3] إلى أن توفيت تحت طائلة المرض. فتذكر "إياد" لتلك الأيام زاد من محنته وعذابه رغم مرور زمن على هذه الواقعة الأليمة التي بقيت ذكرى مشؤومة تذكره دائما بتخلي الأهل عنه، وجريمة إنسان بزي طبيب.

فالاسترجاع في قصة "إياد" لم يكن بهدف نسيان خيبات الحاضر، لأنّه والماضي سواء في حياته عانى فيهما الظلم والانكسار. وإنما كان استذكاره دافعا لحياته الجديدة التي اتسمت بطابع الرحيل والفراق.

إذن يمكننا القول في الأخير أنّ الماضي كان مرفأ يركن إليه المغترب ليقيه وهج الحاضر وهو ما رأيناه مع "نسيمة" و "إسلام"، غير أنّ هذا الماضي لا يكون سعيدا دائما إذ قد يتخلله بعض الحزن والألم، وهو ما كان مع "إياد".

[1]- الرواية، ص86

[2]- المصدر نفسه، ص81

[3]- المصدر نفسه، ص82

إنّ الزمن الاسترجاعي زمن تنتشر فيه الفوضى والاضطراب، وهو ما تعانيه الشخصية المغتربة. و لجوء الروائية إلى هذه التقنية كان بهدف إبراز معاناة هذا المغترب من خلال تذكيره بآثار الماضي السعيدة منها والتعيسة في رد فعل لموائمة الحاضر ومحاولة التعايش معه.

## 2- الاستباق:

الاستباق هو "التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي، وهذه هي الوظيفة الأصلية والأساسية للاستشرافات بأنواعها المختلفة. وقد يتخذ هذا الاسستباق صيغة تطلعات مجردة تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص فتكون المناسبة سانحة لإطلاق العنان للخيال ومعانقة المجهول واستشراف آفاقه"[1]. فبالاستباق تتوقف عجلة السرد في الحاضر لتنتقل إلى المستقبل بهدف كشف المجهول والتطلع إلى حوادثه.

كما أنّه "مفارقة زمنية سردية تتقدم للأمام مستبقة الأحداث الراهنة بوقوع أحداث متوقعة".[2] بمعنى أنه تمهيد أولي لما سيقع في قادم الأيام ما يخلق تشويقا، وترقبا في نفسية القارئ أحسن من تواصل الأحداث في سيرها الطبيعي.

وقد ورد الاستباق في حياة "نسيمة" التي كانت تتمنى وتتطلع إلى الحب رغم المآسي والصعاب التي تطاردها في الحاضر، فقد جاء في قولها "سأمضي في طريقي لأنهم يقولون أنّ الحب مرة واحدة في العمر"[3]، فهي فضّلت السير في طريق الحب المجهول لأنّها ترى أنّ الحب يأتي مرة واحدة في العمر، وعليها انتهاز الفرصة والسير في دربه حتى النهاية فإما الفوز به أو الفشل.

رغم أنّ الفشل لم يكن في قاموسها لأنّها اعتبرت خسارة محبوبها "خالد" في الدنيا فوزا لها في الآخرة، حين أقسمت بلسانها أنّها "ستحبه دائما... وإن لم تكن نصفه الآخر في الدنيا ستكون

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص122

[2]- فريدة إبراهيم، زمن المحنة في سرد الحكاية الجزائرية، ص78

[3]- الرواية، ص28

كذلك بالجنة".[1] فبهذه الحركة الأمامية للزمن استشرفت "نسيمة" مستقبلها الذي شاهدت فيه خلاصها رغم كل الصعاب والعراقيل التي تحول بينها وبين لقاء محبوبها، إلا أنها فضّلت التمسك بخيط الأمل، والدعاء الذي سيوصلها إلى مبتغاها.

فاستشراف الزمن مثّل "لنسيمة" هروبا من الواقع نحو غد أفضل ما يفضي إلى استمرار حالة الانفصال عندها بين الحاضر والمستقبل.

و يظهر الاستباق كذلك في قصة "إسلام" الذي ظن أنّ المستقبل سيعوضه عن حب والدته، وهو الحب الذي افتقده في الحاضر. فأخذ يرسم طريق حبه ويتخيله في ذهنه، "انطلق يرسمه في بيته وداخل غرفته وبين أشجار الحقل"[2]، فغياب عاطفة الحنان في الحاضر جعله يتخيل الحب في المستقبل والذي رآه في شخص "فهيمة"، هذه التي رأى فيها أنّها ملكة ستتوج على عرش قلبه، "فهيمة هي الآن أميرة ستتوج يوما ما ملكة على عرشها"[3]. هذا الاستباق صوّر الحالة النفسية السعيدة "لإسلام"، ومدى التفاؤل الكبير الذي كان يحلم به بين خلجات نفسه.

هذا الأمل الذي اعتنقه وحلم به خاصة وهو يتأمل محبوبته ويفكر بالزواج منها. دفعه إلى الذهاب لطلب يدها مخاطبا والدته الراحلة في قبرها قائلا: "اليوم أتيت لأخبرك أنني سأذهب لطلب يد فهيمة".[4] فتفكيره في المستقبل وانغماسه فيه أنساه حاضره حين حطمت "فهيمة" كل أحلامه ورفضت طلبه بقولها "لا أفكر في الزواج، وأظن أنّه عليك أنت أيضا أن تصرف نظرك عن الموضوع وعني كذلك"[5].

[1]- الرواية، ص36

[2]- المصدر نفسه، ص105

[3]- المصدر نفسه، ص105

[4]- المصدر نفسه، ص107

[5]- المصدر نفسه، ص108

فاستباق الزمن في قصة "إسلام" كان بحثا عن ذلك الفردوس المفقود المسمى الحب الذي اضطره إلى استشراف الغد علّه يعوضه عن انكسارات الحاضر قبل أن يصدمه الواقع، ويمزق كل تلك الأحلام التي رسمها لحياته.

وكما كان الحال مع الاسترجاع، فقد شكّل الاستباق كذلك الأسى والمعاناة في حياة "إياد"، فقد جاء على لسانه "ستكون ابنتي بخير ستشفى ولا يهم عدم مبالاة الأطباء بمرضها ولو اضطررت إلى أخدها إلى آخر العالم".[1] في هذا المقطع أراد "إياد" الخلاص لنفسه موهما إياها أنّ ابنته ستتعافى رغم علمه المسبق بخطورة مرضها وعجزها عن الشفاء كل هذه السنين، فبهذه الكلمات التي قالها بحث عن السكينة والمواساة لروحه الرافضة للواقع، بإيهامها أنّ الغد سيكون أفضل.

ففي استشراف الزمن "تعاني الشخوص القصصية من القلق والتوتر، والخوف والفزع وترقب الموت"[2]، وهو ما كان مع "إياد" الذي عانى الخوف والقلق من المجهول القادم، وترقب الموت الذي يطبق كفيه على ابنته من كل جانب يوم بعد يوم، خاصة عندما يكون خارج البيت ما جاء في القول "ذهب إياد إلى منزله على أمل أن يرى أمل بخير".[3]

هذا الانتظار والترقب قضى على ابنته حين انتقلت إلى جوار ربها تاركة إياه يعيش الحسرة وتأنيب الضمير، "سامحيني بابا لأنني لم أكن أهلا لحبك لأنني لم أقدر على العناية بك وحمايتك".[4] فاستباق الأحداث وانتظارها لم يجلب "لإياد" سوى الأسى والألم في حياته.

استخدام الروائية للزمن الاستباقي في الرواية دليل على استمرارية الحالة الانفصالية للشخصية في المستقبل، والذي يعد باستمرار الزمن الاغترابي الحالي والماضي. فالمستقبل هو الزمن

[1]- الرواية، ص83

[2]- فريدة إبرهيم، زمن المحنة في سرد الحكاية الجزائرية، ص67

[3]- الرواية، ص85

[4]- المصدر نفسه، ص85

المنشود الذي تحلم الشخصية بالعيش فيه، وهو ما رأيناه مع "نسيمة" و "إسلام". غير أنّه من جهة أخرى كان وجها للتعاسة لصاحبه من خلال تفكيره بالمجهول وترقب حوادثه الأليمة وهو ما ألفيناه عند "إياد".

خلاصة القول: إنّ الروائية "عبلة قدوار" نجحت في استخدام تقنيتي الاسترجاع والاستباق للدلالة على الاغتراب الذي تعيشه الشخصية الحكائية، حين تنشد زمنا مفقودا في الحاضر فتتجاوزه بالعودة لآثار الماضي، أو تستشرفه في المستقبل ليكون باب آمالها في الحياة.

## ثالثا) الاغتراب المكاني:

يقوم المكان في العمل الروائي بدور هام، فهو يتعدى كونه موضع تمارس فيه الشخصية حياتها وتحركاتها إلى أساس تثبت به وجودها وكيانها. لذا يعدّ من أهم العناصر السردية التي انكب النقاد على دراستها وبيان جمالياتها.

جاء في لسان العرب : "المكان والمكانة واحد، والمكان الموضع، والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكانا فعالا لأنّ العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك، واقعد مكانك. فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه".[1]

لهذا أولاه الدارسون عناية كبيرة لأنّه يتجاوز المفهوم الجغرافي البسيط المتداول إلى أبعاد ودلالات إنسانية أخرى. و المكان هو "الإطار الذي تنطلق منه الأحداث وتمارس فيه الشخصيات تحركاتها، ويمثل المرآة العاكسة للحالات النفسية. فالشخصية تكتسب أهميتها من خلال تفاعلها مع المكان الموجودة فيه، يتعدى المكان كونه مجرد خلفية للأحداث بتفاعله مع الشخصيات"[2].

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ص4250

[2]- فريدة إبراهيم، زمن المحنة في سرد الحكاية الجزائرية، ص112

فهذا يدل على ارتباط المكان بنفسية الشخصية وذاتها، فهو مرآة تعكس الحالة العامة لها سواء من حزن أو فرح، وهو الذي يحدد هذه المشاعر المختلفة للذات الإنسانية.

و من الدراسات الهامة التي ارتقت بالمكان، وأعطته بعدا جماليا دراسة "غاستون باشلار" (Gaston Bachelard) الذي تجاوز المساحة الجغرافية المحدودة وأضفى عليه بعدا فنيا فقد قال: « إنّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوع فقط بل كل ما في الخيال من تميز إننا ننجذب نحوه لأنّه يكثف الوجود في حدود تتسم بالجمالية في كامل الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازية »[1]. مثل هذا التناول يسمو بالمكان عن حدوده الهندسية ليمنحه بعدا إنسانيا تتحرك ضمنه الشخصية وفق الإطار المتاح لها.

لقد شكّل المكان في رواية "اعتراف موجة" معاناة حقيقية للشخصيات، وغربة ملأت حياتهم بالانكسار والأسى، حين فضّلت الهجرة والرحيل والتغرب عن أوطانها. فكانت هذه الأمكنة مثالا حقا للتعبير عن حالتهم النفسية. ومن هذه الأمكنة: البحر، والقارب، والضفة الأخرى، والبيت.

## 1- البحر:

يُعدّ البحر وجهة عامة للجميع، فهو للصيادين مصدر رزق وقوت، وللشعراء والكتّاب مصدر إلهام في كتاباتهم الفنية، وللسائحين مكان متعة وترفيه. لكنّه رغم هذا السحر و الإبداع فقد تحول في الرواية إلى مكانا اغترابي فُقدت فيه معالم الحياة وطمست، وانتهت عنده كل الطموحات والأحلام للشباب الذين ركبوا أمواجه وتحدوه.

[1]- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: هلسا غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1, 1984، ص31

كما شكّل مصدر للكارثة التي أودت بحياة الكثيرين، فقد جاء على لسان الموجة وهي تخاطب "صقر" بهذا "لاشك أنك سمعت بالمأساة التي وقعت في البحر والتي ذهب ضحيتها العشرات من أشخاص بين ميت ومسعف ومفقود"[1]، فهذا كان قدر كل راكبيه على غرار "نسيمة" و "إسلام" و "علي" ...إلخ. كلهم لاقوا حتفهم في عرضه لأنهم رأوا فيه "جسر الخلاص، البحر خلاص جديد"[2]، فكان حقا خلاصهم فيه حين فقدوا حياتهم من أجل بعض دريهمات وحياة اعتقدوا أنّها أفضل في الجهة الأخرى منه.

لقد مثّل البحر ذلك الموت الذي لا مفر منه، فقد جاء في وصفه "تثقل أجسادهم فتخير قواهم، ولم يعد هناك من مناص من الانسياب إلى أعماق البحر".[3] هذا التصوير البطيء للموت هو ما حدث لشخصياتنا التي فضّلت المخاطرة بحياتها رغم علمها المسبق بأنّ هذا انتحار لكنّها اختارت الموت غرقا في البحر على البقاء حية في البر، وهو ما تجلى في قول "نسيمة"، "أنام مرتاحة البال بقبري أو في أعماق البحر أو حتى في بطن الحوت"[4].

هذا اليأس والقنوط من الواقع يدفع شبابنا كل يوم للمخاطرة بأنفسهم متحدين الصعاب وكل المشاق مع أنّ البحر يلقي كل يوم عشرات الجثث على شواطئه، وما خفي منه أعظم، فالجهة الأخرى منه لم تكن يوما للحياة لكن ما من معتبر، "في الجانب الآخر من البحر لا يوجد إلا الموت"[5].

لكن أسفي الشديد وعزائي على من "بقي مصدوما لما أقدم عليه، وهناك من حاول مرارا القفز ليعود إلى أهله لكن لا مناص من ذلك، فما عدت أرى إلا الدموع تنحدر على الخدود والكلمات القاتلة تخرج من أفواههم. يرجون العودة ساخطين على أنفسهم لما أقدموا عليه

[1]- الرواية، ص09

[2]- ياسين نصير، الرواية والمكان، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط2، (دت)، ص117

[3]- الرواية، ص131

[4]- المصدر نفسه، ص37

[5]- المصدر نفسه، ص04

من الجنون".[1] في هذا المقطع تتحدث "الموجة" عن حال الشباب النادمين على قرار الهجرة، ولكن لا ينفع الندم على ما مضى وفات، فمن ركب البحر وتحدى أهواله لا سبيل له إلى العودة إلا من كتب الله له عمرا. فالبحر لا يرحم، والموت يطاردنا في كل وقت من هذه الحياة.

لقد كان البحر مكانا اغترابيا بحق، لأنّه شكّل العذاب والمعاناة للشخصيات التي اختارت الجانب المظلم منه معتقدة أنّه سيخلصها من عبء هذا الواقع المرير، فكان عذابها مضاعفا لأنّها فقدت حياتها فيه، وتحطمت آمالها على صخوره.

## 2- القارب:

يمثل القارب متعة حقيقية لكل راكبيه، لكنّه ببساطة قد يتحول إلى موت محقق حين تختار ركوبه علما بالمخاطر التي تحيط به، وهو ما برز جليا في الرواية، حين عُدّ مكانا اغترابيا حمل الموت معه.

هذا الموت الذي تجسد في ضيقه الشديد، وهو يحمل العشرات من الأشخاص، "بلغ عددهم العشرات من الركاب مما يجعل منظر القارب يشبه إلى حد بعيد عيدان الثقاب".[2] هذا هو الحال، الازدحام الشديد، وسكون البحر المظلم، يضاف إليه القلق والاضطراب من القادم، وما يدل أكثر على ضيق هذا القارب، وشدة المعاناة فيه ما جاء في وصف وضعية الجلوس الخاصة "بجمال"، "أخذ يثّبت جلسته بين الركاب بصعوبة، لكنّه لم يستسلم حتى عاد إلى مكانه"[3] وهذا للدلالة على مدى صعوبة اختيار مكان للجلوس بين الآخرين، فكان بحق كالمقبرة المتحركة التي تقود ساكنيها إلى الموت المحتوم.

[1]- المصدر نفسه، ص157

[2]- الرواية، ص17

[3]- المصدر نفسه، ص43

وما يزيد من حالة الاضطراب واللاوعي في ذلك القارب غياب سبب وجيه للصعود على متنه، فقد جاء على لسان "نسيمة" قولها "لعل الساعات القادمة ستعرفني سبب ركوبي"[1] وهذا يدل على حالة اليأس والضياع التي كانت تعاني منها شخوص الرواية ما دفعها إلى اتخاذ قرارات متسرعة في حياتها دون وعي منها. فكثير من الشباب اليوم سمتهم العجلة والتسرع، فحين تمر بهم ظروف قاسية يتجهون صوب الهجرة غير الشرعية ظانين أنها الحل الأمثل لحل مشاكلهم العالقة لكنّهم بمجرد تحرك ذلك القارب يندمون على قرارهم المتسرع، لأنهم اتخذوه في ساعة ضعف وغضب.

لقد شكّل القارب في الرواية مكانا اغترابيا تحطمت فيه أحلام كل من ركبه، أولا من الواقع الاجتماعي الأليم، وثانيا من حتمية هذا القرار – ركوبهم القارب– الذي أودى بحياتهم بعيدا عن أوطانهم، فكان اغترابهم مضاعفا اغتراب في الحياة، وغربة في الموت.

## 3– الضفة الأخرى:

و هي المكان الوهمي والخيالي رغم كونه حقيقية يحلم الكثيرون بالوصول إليه، لأنّه الجنة التي سوف تحقق أمانيهم، وتغدو أحلامهم فيه حقيقة يعيشونها.

وقد مثّلت الضفة الأخرى أحد الأمكنة الاغترابية لشخصيات الرواية، فهي المكان الذي حلموا بالوصول إليه بشتى الطرق. كما جاء على ألسنتهم:

نسيمة: " إما أن تصل إلى الضفة الأخرى وتبدأ حياة جديدة... أو أن تعيش على ذكرى الحب".[2]

إياد: " سأذهب إلى الضفة الأخرى لأملك المال وأعيش رجلا ".[3]

[1]– المصدر نفسه، ص38

[2]– الرواية، ص36

[3]– المصدر نفسه، ص86

علي: " أنا ذاهب إلى الضفة الأخرى وسأعود بالكثير من المال".[1]

إسلام: " علم بأمر هذه المجموعة التي ستغادر إلى الضفة الأخرى... ليصبح سيدا يليق بمقام المراقب وابنته فهيمة".[2]

لقد تضاربت الطموحات والآمال بين الشخصيات الأربع، رغم أنّ جلّها مطالب دنيوية لكنّها اتفقت في أمر واحد وهو الرحيل والهجرة إلى تلك الجهة للحصول على حياة كريمة تنسيهم الصعاب و المشاق التي لاقوها في أوطانهم الأصلية. لكن حقيقة الأمر أنّ "الضفة الأخرى لم تكن يوما أوطانا يفخر بها"[3]، وهذا صحيح فهي الفخ المميت الذي وقع فيه شبابنا حين اندفعوا للمراهنة وركوب تلك القوارب طمعا في الوصول إلى هناك على قلة معرفتهم وزادهم في هذه الحياة.

فالضفة الأخرى لم تكن سوى وهما آمن به الكثير، وقد كان مكانا اغترابيا بحق، لأنّه مثّل ذلك الوطن الجديد الذي يدفع بالشخص إلى حرق هويته الأصلية، واستبدالها بهوية أخرى طمعا في دخوله، وتشّبه بساكنيه، "على هذا المنحى مشى الشباب، فعند نجاتهم من الموت وسط البحر ووصولهم إلى الضفة الأخرى يحرقون هوياتهم أملا في كسب هوية جديدة تكون تأشيرة لدخول الفردوس المفقود"[4] .

فأي هوان هذا، وأي ذل للشخص الذي يبيع هويته من أجل ترف الحياة وملذاتها، وأية حياة هذه التي وصل لها إليها بعد مشاق عديدة، وتضحيات كثيرة كادت تودي به أكثر من مرة في عرض البحر. فالضفة الأخرى ليست سوى وهم، ولا تستحق أن يتخلى الإنسان من أجلها على أسمى ما يملك، وهو الهوية الوطنية.

[1]- المصدر نفسه، ص96

[2]- الرواية، ص112

[3]- المصدر نفسه، ص156

[4]- المصدر نفسه، ص10

من خلال ما سبق يتضح أنّ الضفة الأخرى شكّلت لشخصيات الرواية ذلك الحلم التي تمنوا الوصول إليه وملامسته، لكن تذكرة وصولهم كانت غالية، وعليهم دفع الحياة ثمنا لها.

## 4- البيت:

يعتبر البيت فضاء للإقامة ومبعثا للراحة النفسية والأمان، وهو "سجل لمشاعر حياة الإنسان، وعلى جدرانه تواريخ الأيام الماضية والأيام الباقية".[1]، لكنّه تحول في الرواية إلى مكان اغترابي طارد لمشاعر الألفة والمحبة، وباعثا على مشاعر الخوف والأسى.

فالبيت في حياة "إياد" شكّل مكانا احتوى كل مشاعر المعاناة والألم، والذي ورد في القول "وبذلك المنزل كانت قد انتهت حكاية وبدأت حكاية أخرى مليئة بالألم والقهر والأنات"[2]. هذا القهر الذي عايشه مع مرض ابنته المزمن، وقلة الحاجة، والعوز دفعه إلى هذه الحال المزرية من إصابة ابنته بالحمى واستعصاء شفائها، " إنها أصيبت بأزمة برد لقلة الحال عندهم"[3]. هذه الحاجة حولت البيت إلى فراغ مخيف مظلم خال من الدفء والحنان، رغم الحب الذي كان "إياد" يغدق به على عائلته، ما جعله مكان موحشا غريبا لكل ساكنيه.

مما زاد من حالة الاغتراب داخل ذلك البيت وفاة الطفلة "أمل" التي كانت تنير ظلمته بابتسامة بريئة أو بنظرة منها لوالديها، وبموتها أظلم البيت واستحالة حياة "إياد" فيه إلى جحيم فقد جاء في القول، "دخل المنزل بخطوات متثاقلة"[4].

هذه الحال الأليمة دفعته إلى الرحيل بحثا عن مكان آخر يجد فيه الراحة والسلام لنفسه التي افتقدت الأمان داخل ذاك البيت.

---

[1]- ياسين نصير، الرواية والمكان، ص176

[2]- الرواية، ص78

[3]- المصدر نفسه، ص79

[4]- المصدر نفسه، ص85

يضاف إلى "إياد"، "علي" الذي كان بيته مكانا اغترابيا سبّب له الشقاء بسبب ضعف إمكانياته، وتدهور حالته لأّنه ببساطة كان مستودعا صغيرا خلا من كل حاجيات الراحة كما جاء على لسان الروائية وهي تصفه " قسّمته إلى غرفة نوم، ووجهة للحمام، وجهة أخرى للمطبخ لا يفصل بين الثلاثة سوى ألواح حطب جمعتها من الشارع"[1].

فهذه الظروف الصعبة فرضت على "علي" العيش والتأقلم معها على قلة الحاجة، وغياب أبسط متطلبات الحياة كالماء والكهرباء على سبيل المثال، "حرمت تلك العائلة من العديد من متطلبات الحياة كوفرة الماء...فقد كانت وبنتيها يذهبن لبساتين الأعمام ويحضرن الماء بالدلاء أمّا الكهرباء فكانت مقطوعة تماما"[2]. فعاش "علي" فيه سنين من الظلام يعاني الألم، و يقاسي الصعاب و المشاق، بسبب الفقر وجور الأهل الذي حرم عائلته من نعيم ما تركه والده، فحُكم عليه بالبقاء في ذلك المكان لسنوات عديدة، "بهذا المكان عاشت لسنوات هي وأولادها يعانون الويلات".[3]

كل هذا الأسى والظلم اضطر "علي" إلى الرحيل نحو مكان آخر يؤّمن له العيش الرغيد الذي افتقده في بيته.

خلاصة القول: إنّ هذه الأمكنة مثّلت لشخصيات الرواية فضاءات للاغتراب، وذلك لما حملته من معاني الألم في نفوسهم، سواء من البحر الذي كان رمز الموت والفناء، أو القارب الذي كان مدعاة للهلاك والخوف، أو الضفة الأخرى التي شكّلت ذاك الفردوس المفقود، وأخيرا البيت الذي كان سببا للمعاناة بكل أشكالها.

[1]- المصدر نفسه، ص90

[2]- المصدر نفسه، ص91

[3]- المصدر نفسه، ص90

## رابعا) الاغتراب اللغوي:

تشكل اللغة مصدرا أساسيا في بناء العمل الإبداعي، فهي القالب الذي يصب فيه الروائي أفكاره ويجسد بها رؤيته. وهي "الوعاء الحامل لكل فكر الإنسان وعلمه وثقافته"[1].

هذه اللغة التي تعتبر أداة تواصل بين البشر، كونها تتعدى أن تكون مجرد رموز وحروف لأنّها تحمل فكرا وعلما، "فاللغة ليست مجرد مجموعة من الرموز بل هي تنتج كثيرا من العلاقات المعقدة في معناها. إنها صورة معقدة عالية من الرمزية، إنها تبدع عالما وبدونها لا يستطيع الإنسان أن يعرف نفسه".[2] هذا الطرح يسمو باللغة ويزيد من قيمتها في الحياة، خاصة إذا كانت هذه الأخيرة لغة الأدباء والمفكرين، فهي تمتاز بجودة السبك، وقوة المعاني، ودلالة الفصاحة.

جاءت اللغة في رواية "اعتراف موجة" مواكبة لحالة الشخصيات النفسية التي تتلون وتتغير بحسب الأوضاع والمواقف التي تعترضها، فعانت من الانفعال والقلق والخوف إزاء ما يجري في الواقع من حوادث رسمت طريق حياتها بين التطلع والانتظار، أو الشعور باليأس والانهزام ما يدفعها إلى الغوص في دروب الحزن، والركون إلى دروب الوحدة والكبت.

لذا كثرت عبارات ومفردات القلق والتشاؤم، ما أفضى إلى صورة سوداوية قاتمة انعكست على المعجم اللغوي الذي تجسد على ذوات هذه الشخصيات لأنّ "ما يهدد اللغة يهدد

[1]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص207

[2]- رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002، ص132

الشخصية وما يهدد الشخصية يهدد اللغة في تفاعل إيجابي متبادل يصوغ الشخصية واللغة في وقت واحد"[1].

ومن هذه العبارات الاغترابية :

"المأساة التي وقعت بالبحر"[2] / - "السنوات لا تحمل في طياتها غير الكثير من الآلام"[3] / "المشاعر المرهفة والردود القاسية الجبارة وهذه الدموع والأحلام"[4] /- "كانت خطواته على قدر لحن تلك الصرخات"[5].

هذه جملة من العبارات وغيرها كثير، نطقت بها الرواية للدلالة على معاني الاغتراب التي تمثّلت في التشاؤم والتبرم من هذه الحياة التي اتسمت بطابع المآسي وفقدان الأمل. فاللغة مثّلت هذه الصورة بكل تفاصيلها الأليمة التي انعكست على نفسية الشخصيات الرافضة لهذا الواقع الكئيب المجافي لقيم الحياة، وبالتالي رفض الوجود والهروب منه.

يضاف إلى هذه العبارات ورود بعض المفردات بكثرة على لسان الروائية ما يزيد من حدة الاغتراب، وإبراز مدى المعاناة والأسى الذي تعرضت له الشخصيات، والتي منها: المآسي الموت، الآلام، الدموع، الجريمة، الرحيل، الجثث، الانكسار...الخ. فهذه المفردات وغيرها ساهمت في زيادة معاني القلق والاضطراب على لغة الرواية؛ هذه اللغة التي اتخذت من حقل الألم والقسوة معجما تنهل منه ما ارتسم على جلّ المقاطع السردية التي حفلت بظاهرة الاغتراب.

وبفضل لجوء الساردة إلى تقنية الوصف اكتسبت اللغة طابعا حزينا زاد من وطأة الاغتراب عليها. لأنّ الوصف "مظهر أسلوبي يتسلط على حالة ما، أو موضوع ما للنهوض بوظيفة الوصف

[1]- يحي عبد الله، الاغتراب، ص207

[2]- الرواية، ص09

[3]- المصدر نفسه، ص21

[4]- المصدر نفسه، ص73

[5]- المصدر نفسه، ص104

ضمن جمالية الخطاب وأسلوبية اللغة".[1] كما جاء في وصف القارب وهو مليء بالركاب مثلا "بلغ عددهم العشرات من الركاب مما يجعل منظر القارب يشبه إلى حد بعيد عيدان الثقاب".[2] فهذا الوصف الدقيق لحالة القارب ساهم في إبراز المعاناة والضياع الذي كانت تعيشه هذه الشخصيات، ما أفضى إلى لغة تائهة حائرة تحاكي حالة شخصياتها التي تعاني اليأس والضعف.

و من الصور كذلك وصف الموجة لحال المهاجرين السريين، وهم يصارعون الموت في عرض البحر، ما تجّلى في هذا المقطع السردي" تلك المقاومة توسع خلاياهم ويستمر الماء المالح في اختراق خلاياهم... رويدا رويدا تثقل أجسادهم فتخور قواهم ولم يعد هناك مناص من الانسياب إلى أعماق البحر"[3]. هذا الوصف البطيء للموت عبّرت عنه اللغة بكل معاني الوحشية والقسوة لا بمعاني الشفقة والرحمة، لإدراك الروائية فضاعة الهجرة السرية والأسى الذي تخلفه، لهذا جاءت اللغة السردية بهذا الوصف المريع مبرزة معاناة المغترب وما يلاقيه من شدائد وصعوبات، وهو سائر في طريق المجهول.

خلاصة القول : إنّ اللغة في الرواية اتسمت بطابع القلق والتبرم، ما أدّى إلى كثرة عبارات الألم واليأس الداعية إلى إبراز شدة المعاناة و المشاق التي تواجه المغترب في رحلته. فكان هذا القالب العام للّغة التي استقت حروفها من بحر القسوة مبدعة رواية طفحت بهذه المعاني الحزينة.

[1]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص245

[2]- الرواية، ص17

[3]- الرواية، ص131

# الخاتمـــــة

تناول بحثنا موضوع الاغتراب في رواية "اعتراف موجة" لـ : عبلة قدوار، والذي حاولنا من خلاله ملامسة الظاهرة ودراستها من جميع جوانبها، وقد أسفر البحث عن جملة من النتائج نوردها في النقاط الآتية :

**1**- كان هذا البحث عصارة لجميع الأفكار والرؤى الفنية التي عالجتها الكاتبة في روايتها باعتمادها على شخصيات استلهمتها من الواقع المعايش، والتي تعاني بدورها من سلبيات هذا المجتمع، والأفكار التي يتبناها بعض أفراده.

**2**- الاغتراب ظاهرة إنسانية متشابكة تتداخل فيها جميع الظروف المحيطة بالفرد، فهو لم ينحصر في المعنى المادي بل تجاوزه إلى معاني ودلالات أخرى نفسية، واجتماعية، واقتصادية.

**3**- الاغتراب في الفكر الغربي تناوله فلاسفة، ومفكرون نظروا إليه من زوايا مختلفة تنوعت بين الجانب الديني كهيغل و فيورباخ، والجانب الاقتصادي الذي مثّله كارل ماركس. أمّا في الفكر العربي فكان طابع الاغتراب الرحيل والهجرة عن الأوطان، وقد كان للمتصوفة النصيب الأكبر منه حين نظروا إليه نظرة ارتقت به عن ملذات الدنيا ومغرياتها المادية.

**4**- عكست الرواية ظاهرة الاغتراب بكل أبعادها المختلفة، وأشكالها الذاتية والاجتماعية لتؤكد الحالة النفسية لشخصياتها التي تقاسي المعاناة والأسى جرّاء إرهاصات الواقع الاجتماعي.

**5**- غلب على الرواية الجانب النفسي لأنّه عبّر عن مكونات وخلجات تلك النفس المكبوتة التي تسعى للتعايش مع واقع حزين رُسمت معالمه بكل ألوان الشقاء والعناء، الذي ارتسم على ذوات هذه الشخصيات التي حُكم عليها بالعيش تحت وطأة الاغتراب في مجتمعها، الذي لم يكفيه هذا بل دفعها للغربة عنه كرها وظلما.

**6**- اشتملت الرواية على تقنيات السرد المختلفة، فقد برعت الكاتبة في توظيفها وربطها بالشخصيات والسمات الاغترابية في عدة صور حملت معاني ودلالات الاغتراب.

**7**- استخدمت "عبلة قدوار" تقنيتي الاسترجاع والاستباق في الزمن، لتبين الهوة التي يعيشها المغترب في حاضره المرير، ما اضطره إلى الحنين للماضي الجميل الذي كان يعيشه، أو طلبه في المستقبل رجاء في الوصول إليه.

**8**- المكان في رواية "اعتراف موجة" صار مكانا اغترابيا طاردا لمشاعر الألفة والمحبة، وحاملا لمعاني الغربة والكبت، الأمر الذي دفع بالشخصيات إلى الرحيل وفراق أوطانهم، لأنهم لم يجدوا فيه الأمان والسكينة التي كانوا يبحثون عنها، انطلاقا من البحر، ومرورا بالقارب والضفة الأخرى وصولا إلى البيت.

**9**- جاءت اللغة في الرواية حاملة ومجسدة لمعاني اليأس والشقاء بكل صوره الفظيعة التي صوّرت شدة معاناة هذا المغترب، وما يلاقيه من صعوبات وشدائد في حياته. فكان هذا الطابع العام لها والذي عكس هذه الصورة السوداوية والحزينة للغة.

**10**- و أخيرا، لقد مثّلت رواية "اعتراف موجة" بحق الرواية الاغترابية حين شخّصت معاناة الفرد وما يلاقيه من جفاء، ووحدة قاتلة في وطنه، أو من غربة و مشاق في رحلة تغربه عنه. فقد نجحت الكاتبة "عبلة قدوار" في رسم هذه الصورة، و إيصالها إلى المتلقين في قالب فني جمالي تجّلى في الأخيلة التي طفحت بها الرواية، والتي أبرزت معالم وخفايا ظاهرة الاغتراب.

تلكم أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا، وحسبنا أننا حاولنا بقدر جهدنا بلوغ ما بلغناه، وكان هدفنا أكبر، وطموحنا أبعد، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

# مـلحـــق

## التعريف بالروائية عبلة قدوار:

عبلة قدوار روائية جزائرية من مواليد 20 جوان 1986 ببوسعادة. خريجة جامعة المسيلة الجزائر أدب عربي. لها مقالات عديدة نُشرت في جريدة الجمهورية (الجزائر).

من أقوالها: " إنّ العظمة التاريخية وإنّ كانت مترجلة إلا أنّ في باطنها دائما روح أنثى... قراءة في النظرة الكريمة التي أولاها مصطفى صادق الرافعي إنسانا، وشاعرا، وكاتبا للمرأة"[1]

صدر لها روايتان :

1- قصة حياة في طي النسيان عام 2011.

2- اعتراف موجة عام 2013.

## ملخص الرواية :

تنطلق رواية "اعتراف موجة" بقصة درامية بطلاها "الموجة" و"الصياد صقر". تلك الموجة التي شهدت المأساة التي وقعت في البحر، لأولئك المهاجرين السريين الذين قضوا نحبهم فيه فكانت رسالة الموجة إلى "صقر" بأن يحمل قصصهم ويرويها للعالم علّ تلك الظاهرة المسماة "بالحرقة" تنطفئ جذوتها، وتتوقف عن حصد أرواح شباب هذا الوطن.

ولقد صوّرت الرواية أحداثا من الواقع حدثت لثّلة من الشباب عايشوا الواقعة الأليمة وتجرعوا مرارتها على اختلاف أسباب هجرتهم، وظروفهم الحياتية التي أدّت بهم إلى هذه الخطوة الجريئة والمخاطرة الكبيرة، وقد تعددت الأسباب وتنوعت بين الحب، والبحث عن شخص، إضافة إلى العائلة، وانتهاء بالهوس والاضطراب.

فالحب رغم كونه صفة جميلة، إلا أنّه كان في الرواية مدعاة للاغتراب والمعاناة لصاحبه وهو ما حدث لكل من "نسيمة" و"إسلام" و"كريم"، فقد دمرهم هذا الحب وشكّل مأساة لهم

[1]- http//www. Djazalress. com, 01/05/2016, 11:05h

في حياتهم لأنهم عجزوا عن التحكم في مشاعرهم وأحاسيسهم المرهفة التي قادتهم إلى جحيم الغربة لما يأسوا من الحياة، وفقدوا كل ما هو جميل فيها. فالحب قتل قلوبهم حين تخلى عنهم وقضى على أرواحهم عندما رمى بها بين أمواج البحر المتلاطمة، فكانت خاتمتهم على ما عاشوا لأجله.

ويبرز البحث عن شخص مفقود كذلك سبب للغربة عن هذا الوطن، وهو ما كان في قصص كل من "جمال" و"أشياع" و"قصة المرأة العجوز"، فهذا الهوس رسم معالم حياتهم حين اصطدموا بحوادث الواقع الأليم، وتجرعوا مرارته ما دفعهم إلى الرحيل والهجرة، بحثا عن هذا الحلم الذي عايشوه طيلة حياتهم لاعتقادهم أنّه الأمل الذي سيعيد الحياة لأرواحهم الخاوية من البسمة والأمل.

وكان للعائلة دور مهم في الاغتراب أيضا، وهو حال "إياد" و"علي" و"خليل"، فقد تغربوا عن وطنهم لأنّهم لم يجدوا فيه سوى الشقاء والمعاناة والألم، وهاجروا نحو الضفة الأخرى طمعا في الحياة الكريمة والعيش الرغيد، فركبوا تلك القوارب مراهنين بحياتهم للوصول إلى ذلك الفردوس المفقود رغم كل الصعاب و المشاق.

ونختم قصص الاغتراب بقصة "مراد" ذلك الشاب العادي الذي اضطربت الأحاسيس والانفعالات في داخله منذ الصغر فكانت سبب هلاكه و تغربه عن وطنه، لأنه عانى الأسى والانكسارات في حياته بين شعوره بالوحدة والكبت، وهوسه بقصص رفاقه التي كان يحاكيها رغبة في عيشها، ما دفع بأهله إلى التخلي عنه وتركه، والذي اضطره فيما بعد إلى الرحيل وترك كل شيء خلفه دون هدف أو مغزى لحياته.

# قـائـمـــة

# المصادر و المراجع

* القرآن الكريم

## أولا) المصادر:

1- عبلة قدوار، اعتراف موجة، دار الخلدونية، الجزائر، الجزائر، دط، 2013

## ثانيا) المراجع :

### أ/ المراجع العربية :

2- أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013

3- إيريك فروم، الإنسان المغترب، تحقيق: حسن حماد، دار الحكمة، القاهرة، مصر، دط، 2005

4- إيليا الحاوي، في الأدب والنقد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط5، 1986

5- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، دت، 1982، ج1

6- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009

7- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006

8- رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002

9- الشنفرى، ديوان الشنفرى، تحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996

10- ابن عربي، الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999

11- عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث (1945-1962)، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، دط، دت

12- عمر رضا كحالة، الحب، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط1، 1978

13- فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب الرباط، المغرب، ط1، 1993

14- فريدة إبراهيم بن موسى، زمن المحنة في سرد الحكاية الجزائرية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011

15- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين (بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006

16- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 2003

17- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1986

18- مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت

19- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط9، 2005

20- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار عالم المعرفة، الكويت، الكويت، دط، 1998

21- مها حسن قصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004

22- وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، الجزائر، دط، 2013

23- ياسين النصير، الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط2، 2010

24- يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2008

25- يحي عبد الله، الاغتراب (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005

## ب/ المراجع المترجمة :

26- دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1981

27- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984

**ثالثا) القواميس والمعاجم :**

28- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم، بيروت، لبنان، ط1، 1979

29- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003

30- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997

31- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1981

**رابعا) الرسائل الجامعية :**

32- فطيمة الزهرة خنّاب، الاغتراب في رواية سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج، ماجستير، (مخطوطة)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013

33- فطيمة الصيد، الاغتراب في رواية انكسار لمحمد مفلاح، إشراف عبد القادر رحيم، ماستر، (مخطوطة)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014

**خامسا) المواقع الالكترونية :**

34- http//www.djazalress.com

# الفـــهـــرس

# الفهرس

العنوان الصفحة

مقدمة..... أ- ج

**الفصل الأول الاغتراب ماهيته وأبعاده**..... 6- 25

**أولا/ مفهوم الاغتراب**..... 6- 15

أ- لغة..... 6

ب- اصطلاحا..... 6- 7

1) الاغتراب في الفكر الغربي..... 7- 11

2) الاغتراب في التراث العربي..... 11- 15

**ثانيا/ أبعاد الاغتراب ومظاهره**..... 15- 17

1) العجز..... 15

2) اللامعنى..... 15

3) اللامعيارية.....16

4) العزلة الاجتماعية..... 16- 17

5) الاغتراب عن الذات..... 17

**ثالثا/ أشكال الاغتراب**..... 17- 25

1) الاغتراب الذاتي..... 17- 19

2) الاغتراب الاجتماعي..... 19- 21

# الفهرس

3) الاغتراب السياسي..... 21- 21

4) الاغتراب الاقتصادي..... 22- 24

5) الاغتراب الديني..... 24- 25

**الفصل الثاني تجليات الاغتراب في الرواية وبواعثه**..... 28- 58

**أولا/ اغتراب الشخصية**..... 28- 40

1) الحب..... 30- 33

2) البحث عن شخص..... 33- 36

3) العائلة..... 36- 39

4) الهوس والاضطراب الداخلي..... 39- 40

**ثانيا/ الاغتراب الزماني**..... 40- 48

1) الاسترجاع..... 42- 45

2) الاستباق..... 45- 48

**ثالثا/ الاغتراب المكاني**..... 48- 56

1) البحر..... 50- 51

2) القارب..... 51- 52

3) الضفة الأخرى..... 52- 54

4) البيت..... 54- 56

# الفهرس

**رابعا/ الاغتراب اللغوي**..... 56- 58

الخاتمة..... 60- 61

ملحق..... 63- 64

قائمة المصادر والمراجع..... 66- 69

الفهرس..... 71- 72

**ملخص :**

يُعدّ الاغتراب ظاهرة إنسانية تجّلت مظاهره في مختلف جوانب الحياة، لكنّه عرف كثيرا من التعقيد والغموض، بفعل متغيرات هذا العصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ما أدّى إلى خلق عالم من التناقضات والصراعات داخل النفس البشرية، بسبب عجزها عن التأقلم مع هذه المعطيات.

ولقد جاءت رواية "اعتراف موجة" لـ : عبلة قدوار حاملة ومجسدة لكل تلك المعاني من خلال تسجيلها لمعاناة المغترب، والمآسي التي تطارده في عالم عنوانه الألم والعذاب.

**Abstract** :

Alienation wich is a humane phenomenon wich iccurs at all sides of life. It experienced much ambiguity and complexity due to a number of changes the present era of time. These changes involve the field of politics, economics, society and intellectual which drive the individual's mentality to live in conditions of conflicts and contradictions.

The novel directed confession by "Abla Kadwar" comes to illustrate all kinds of suffering that the alien person faces among a world adopts the pain and misery as a sign